فأما عبد الله فمنه ثماني أفخاذ: بنو عبد الله وانقرض، وبنو عيسى، وبنو عبد الصمد،
وبنو داوود، وبنو إسماعيل، وبنو صالح: صاحب الشام، وبنو سلمان: صاحب البصرة،
وبنو محمد الكامل: جدّ الخلفاء أولاد علي السجاد بن عبد الله بن العباس.
وأما معبد فمنه فخذان: بنو داوود ومحمد: ابني إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن
العباس: فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطلب.
وأما الحارث بن عبد المطلب، فمنه ثلاث أفخاذ: وهم الحارثيون: بنو ربيعة، وبنو نوفل،
وبنو أبي سفيان: أولاد الحارث بن عبد المطلب: فهؤلاء بنو الحارث.
وأما أبو لهب عبد العزيّ، فمنه فخذان: بنو عتبة وبنو معتب: ولدي أبي لهب. وعمود
النسب الشريف في عبد الله بن عبد المطلب، وأمه آمنة بنت عمرو المخزومية، ولا عقب
لعبد الله بن عبد المطلب إلا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهومحمد النبي
العربي، بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة
بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع
بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل صلى الله
عليه وسلم بن تارح: وهو آزر بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر: وهو هود
النبيّ عليه السلام؛ وهو جماع قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن
نوح عليه السلام بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ: وهو إدريس النبي عليه السلام بن يارد بن
مهلائيل بن قينان بن أنوش بن هبة الله شيث بن أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى
سائر أنبياء الله تعالى أجمعين.

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال: "لما خلق الله تعالى آدم، أهبطني في صلبه إلى الأرض، وحملني في صلب نوح في

السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى
الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويين لم يلتقيا على سفاحٍ قط". وإلى هذا أشار
العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه بقوله حيث يقول:
من قبلها طبت في الجنان، وفي مستودعٍ، حيث يخصف الورقُ.
ثم هبطت البلاد، لا بشرٌ أنت، ولا مضغةٌ ولا علقُ.
بل نطفةٌ، تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرقُ.
تنقل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالمٌ، بدا طبقُ
اللهم صلي على أسعد الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أفضل صلواتك
وسلامك عدد خلقك، وأجر لطفك في أمورنا في الدنيا والآخرة، حسبنا الله ونعم الوكيل!
القسم الثاني من الفن الثاني
الأمثال المشهورة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنه،
والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب، وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل، والطيرة،
والفراسة، والذكاء، والكنايات، والتعريض، والأحاجي، والألغاز، وفيه خمسة أبواب.
الباب الأول
في الأمثال
ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آي كثيرة. فقال تعالى: "يا أيها الناس ضرب
مثلٌ فاستمعوا له" وتكرر ذكر الأمثال.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبي
الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول ادخلوا
الصراط ولا تعترجوا فالصراط: الإسلام، والستور: حدود الله تعالى، والأبواب: محارم الله،
والداعي: القرآن.
قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر، شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه
التشبيه. قال: وقولهم مثل بين يديه، إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة. وفلان أمثل
من فلان، أي أشبه.
والمثال: القصاص، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول.
وقال ابن السكيت: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه.

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام. إيجاز اللفظ،
وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة.
وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب
الحديث.
وأول ما نبدأ به من ذلك ما تمثل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه:
"إياكم وخضراء الدمن" فقيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: "المرأة الحسناء في منبت
السوء!.
"كل الصيد في جوف الفرا" قاله لأبي سفيان يتألفه على الإسلام.
"مات فلان حتف أنفه".
"لا ينتطح فيه عنزان".
"إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى" المنبت: المنقطع عن أصحابه في السفر، والظهر:
الدابة، قاله في الغلو في العبادة.
"الآن حمى الوطيس": ضربه في الحرب.
"يا خيل الله اركبي".
"اشتدي أزمة تنفرجي".
وقوله صلى الله عليه وسلم "الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية".
"الناس كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".
"الناس كإبلٍ، مائة لا تجد فيها راحلةً".
"المؤمن هين لين، كالجمل الأنف إن أنقيد ، وإن أنيخ على صخرة استناخ".
"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا".
"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم".
"أمتى كالمطر، لا يدري أوله خير أم آخره".
"مثل أبي بكر كالقطر أين وقع نفع".
"عمالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولي عليكم".
وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو:
"والعقد بيننا كشرج العيبة" يعني
إذا انحل بعضه انحل جميعه.
"المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها، وإن داريتها استمتعت بها".
"المتشبع بما لا يعطه كلابس ثوب زور".
"الدال على الخير كفاعله".

"لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا".
"وعد المؤمن كالأخذ باليد".
"مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيباً ولا تطعم إلا طيبا".
"مثل المؤمن كالسنبلة تميل أحيانا، وتعتدل أحيانا".
"مثل الجليس الصالح كالعطار، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس
السوء كالكير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدخانه".
"علم لا ينفع كنز لا ينفق منه".
وقال: "المؤمن مرآة أخيه".
"قد جدع الحلال أنف الغيرة".
"الأعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى"
"نية المرء خير من عمله".
"إن من الشعر لحكمةً وإن من البيان لسحراً".
"من كثر سواد قوم فهو منهم".
"الأعمال بخواتمها".
"ساقي القوم آخرهم شربا"
"المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخال".
"المستشير معان والمستشار مؤتمن".
من كلام أبي بكر الصديق
إن الله قرن وعده بوعيده
ليست مع العزاء مصيبة.
الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله.
ثلاث من كن فبه كن عليه: البغى، والنكث، والمكر.
ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.
احرص على الموت توهب لك الحياة، قاله لخالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردة.
كثير القول ينسى بعضه بعضا، وإنما لك ما وعى عنك.
لا تكتم المستشار خبرا فتؤتي من قبل نفسك.
خير الخصلتين لك أبغضهما إليك.
صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
من كلام عمر بن الخطاب
من كتم سره كان الخيار في يده.
أشقى الولاة من شقيت به رعيته.
اتقوا من تبغضه قلوبكم.
أعقل الناس أعذرهم للناس.
اجعلوا الرأس رأسين.
أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم.
لو أن الشكر والصبر بعيران لما باليت أيهما ركبت.
من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.
ما الخمر صرفا بأذهب للعقول من الطبع.
إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى.

اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة.
لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً.
من كلام عثمان بن عفان
ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.
الهدية من العامل إذا عزل، مثلها منه إذا عمل.
أنتم إلى إمام فعال، أحوج منكم إلى إمام قوال، قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه.
وقال يوم قتل: لأن أقتل قبل الدماء، أحب إلى من أن أقتل بعد الدماء.
من كلام علي بن أبي طالب
من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه، ومن ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد، ومن بالغ في
الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم.
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام.
إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب.
من كلام عبد الله بن عباس
لكل داخل دهشة فابدءوه بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدءوه باليمين.
ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب الأمثال للميداني.
والميداني: هو أبو الفضل أحمد بن
محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري والميداني: بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها
وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهي محلة بنيسابور، توفي سنة تسع وثلاثين
وخمسمائة، ووضعته على حروف المعجم.
فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة:
ترتيب الأمثال على حروف المعجم
حرف الهمزة
تقول العرب: "إن الموصين بنو سهوان" قال الميداني: يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر
به. وبنو سهوان: بنو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى.
وقولهم: "إن الرثيئة تفثأ الغضب" قال: الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو، والفثء:
التسكين، وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم، وكان جائعا فسقوه الرثيئة
فسكن غضبه، فقال هذا المثل: يضرب في الهدية تورث الوفاق.
وقولهم: "إن الحديد بالحديد يفلح" أي يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه.
وقولهم: "إن السلامة منها ترك ما فيها" في اللقطة وذم الدنيا.

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيها وقولهم: "إن العصا من
العصية" يقال: إن أول من قال ذلك الأفعى الجرهمي، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع
بنيه: مضر، وإيادا، وربيعة، وأنمارا، فقال: يا بني! هذه القبة الحمراء وكانت من أدم لمضر،
وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم وكانت شمطاء لإياد، وهذه البدرة
والمجلس لأنمار، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون، فأتوا الأفعى الجرهمي منزلك بنجران،
فتشاجروا.
في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبينما هم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلإ قد رعى، فقال: إن
البعير الذي رعى هذا أعور، وقال ربيعة: إنه لأزور، وقال إياد: إنه لأبتر، وقال أنمار: إنه
لشرود، فساروا قليلاً، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو
أعور؟ قال: نعم، وقال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم، وقال إياد: أهو أبتر؟ قال: نعم، وقال
أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، وهذه والله صفة بعيري، فدلوني عليه، فقالوا: والله ما رأيناه،
فقال: هذا والله الكذب كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران،
فلما نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملي وصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره،
فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم: كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر: رأيته قد رعى
جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعورة وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة واالثانية فاسدة،
فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئة، وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان
ذيالاً لمصع به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود، لأنه يرعي في المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى
مكان أرق منه، فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألهم: من أنتم؟
فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم
وذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى: فقال ربيعة: لم أر كاليوم
أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة، وقال مضر: لم أر كاليوم أطيب خمرا لولا أن

حبلته نبتت على قبر، فقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعي له،
فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدعا قهرمانة،
فقال: ما هذه الخمر، وما أمرها؟ قال: هي من حبلة غرستها على قبر أبيك، وقال
للراعي: ما هذه الشاة؟ فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمها ماتت، ثم أتى
أمه، فقال: اصدقيني، من أبي؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له،
فخفت أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك،
فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر
الدنانير، فسميت: مضر الحمراء، وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء
أسود، فصار لربيعة الخيل الدهم وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء
فلصاحبها الخيل البلق والماشية، فسميت: إياد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض
فصدروا الخيل البلق من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصية، وإن خشيناً
من أخشن، فأرسلهما مثلا.
وقولهم: "إن العوان لا تعلم الخمرة": يضرب للرجل المجرب.
وقولهم: "إني لآكل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.
وقولهم: "أنفٌ في السماء واست في الماء": يضرب للمتكبر الصغير الشأن.
وقولهم: "إن الذليل الذي ليست له عضد" أي أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذله ناصره.
وقولهم: "إن يدم أظلك فقد نقب خفي" الأظل: ما تحت منسم البعير: والخف: قائمته:
يضربه الشكو إليه المشاكي أي أنا منه في مثل ما تشكوه.
وقولهم: "إن تسلم الجلة فالنيب هدر" الجلة: جمع جليل يعني العظام من الإبل، والنيب:
جمع ناب وهي الناقة المسنة، معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به.
وقولهم: "إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر" يقال: إن بني ثعلبة ابن سعد في الجاهلية
تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى،

وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن
قومي يبغون علي، فقال العدل: إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر، فذهبت مثلا:
يضرب للأمر المشهور.
وقولهم: "إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً" الإعصار: ريح شديدة تهب فيما بين السماء
والأرض: يضرب للمدل بنفسه إذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد.
وقولهم: "إنك خير من تفاريق العصا" قالوا: قالته غنية الأعرابية لابنها، وكان عارما مع
ضعفه، فواثب يوما فتى فقطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حسن حلٍ ثم واثب آخر فقطع
شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت:
أحلف بالمروة حقاً والصفا إنك أجدى من تفاريق العصا
فقيل لأعرابي: ما تفاريق العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب
والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة
شظاظا وإن جعل لرأس الشظاظا كالفلكة صار للبختي مهارا وهو العود الذي يدخل في
أنفه، وإذا فرق المهار جاءت منه توادٍ وهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة.
وقولهم: "إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف": يضرب للرجل الداهي، قال بعضهم: لم تؤكل
الكتف من أسفلها؟ قال: لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة.
وقولهم:" إنك لا تجني من الشوك العنب" أي لا تجد عند ذى المنبت السوء جميلاً، والمثل
من قول أكثم قال: إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .
وقولهم: "أخو الظلماء أعشى بالليل": يضرب لمن يخطئ حجته ولا يبصر الخرج مما وقع
فيه.
وقولهم: "إنك لتكثر الحز وتخطئ المفصل": يضرب لمن يجتهد في السعى ثم لا يظفر
بالمراد.
وقولهم:" أول الشجرة النواة": يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.
وقولهم: "إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح" قاله الفرزدق في امرأة قالت الشعر.
وقولهم:" إذا رآنى رأى السكين في الماء": يضرب لمن يخافك جداً.

وقولهم: "إنك ريان فلا تعجل بشربك": يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق.
وقولهم: "أبطش من دوسر" هي إحدى كتائب النعمان أشدها بطشا ونكاية، قال بعض
الشعراء:
ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملكٍ فاستقر
قولهم: "أبرماً قروناً" البرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله، والقرون: الذي يقرن بين
الشيئين، وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللحم فجاء. إلى امرأته وبين
يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له: أبرماً قروناً: يضرب لمن يجمع
بين خصلتين مكروهتين.
وقولهم: "الثيب عجالة الراكب": يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة عند إعواز
جليلها.
وقولهم:
البس لكل حالةٍ لبوسها إما نعيمها وإما بوسها
أول من قال ذلك بيهس: وهو رجل من بني غراب بن فزارة، وكان سابع سبعة إخوة،
فأغار عليهم أناس من بني أشجع، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا بيهسا لحمقة فقال:
دعوني أتوصل معكم إلى أهلي فأقبل معهم، فلما كان من الغد نحروا في يوم شديد الحر،
فقال بعضهم: أظلوا لحمكم لا تفسده الضح، فقال بيهس: لكن بالأثلاث لحم لا يظلل،
فأرسلها مثلا، ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت: ما جاء بك من بين إخوتك وأنت
أخبثهم فقال: ما خيرك القوم فتختاري، فأرسلها مثلا، ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم،
فقال: يا حبذا التراث، لولا الذلة، فأرسلها مثلا، وأخذ يوما يبرم سكينا، فقيل له: ما تصنع
بها؟ فقال: أقتل بها قتلة إخوتي، فقيل له: إنك لأحمق، فقال: يا يؤمنك من أحمق في يده
سكين، فأرسلها مثلا، ثم إنه مر بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة
إخوته فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه، فقيل له: ما تصنع؟ فقال:
البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها
وقولهم: "الصيف ضيعت اللبن" قال الأصمعي: معناه تركت الشيء في وقته، وقال غيره:

تركت الشيء وهو ممكن، وقال أبو عبيدة: أول من قاله عمرو بن عدس، وكان قد تزوج
دختنوس بعد ما كبر، فكان ذات يوم نائما في حجرها فجحف وسال لعابه فتأففته فانتبه
وهي تتأفف منه، فقال: أتحبين أن أطلقك؟ قالت: نعم، فطلقها، وتزوجها فتى ضرير حسن
الوجه، ففجأتهم ذات يوم غارة والفتى نائم فجاءت دختنوس فأنبهته وقالت له: الخيل، فجعل
يقول: الخيل الخيل، من الخوف حتى مات فرقا وسبيت دختنوس فبلغ عمرو الخبير فركب
ولحقهم وقاتل حتى استنقذ جميع ما أخذوا واستنقذها فوضعها قدامه على السرج وردها
إلى أهلها، ثم اصابتهم سنة فبعث إليه تقول: نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال: الصيف
ضيعت اللبن.
وقولهم: "اضطره السيل إلى معطشه" وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور
وماء شديد الجرية، فبقي في أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء، ولم يجد ماء
فمات عطشا: يضرب لمن ألقاه الخير الذي كان فيه إلى الشر.
وقولهم:
إن الحماة أولعت بالكنة وأولعت كنتها بالظنة
الحماة: أم الزوج، والكنة: امرأة الابن والأخ، والظنة: التهمة، وبين الحماة والكنة عداوة
مستحكمة: يضرب بها المثل في الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك.
وقولهم: "إن لله جنودا منها العسل" قاله معاوية: لما بلغه أن الأشتر سقى عسلا فيه سم
فمات: يضرب عند الشماتة بمصاب العدو.
وقولهم: "إن الهوى ليميل باست الراكب" أي من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جميلا،
كما قيل.
وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل
وقولهم: "إن الجواد قد يعثر": يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلة
وقولهم: "إن الشفيق بسوء ظن مولع": يضرب للمعنى بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به
غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد.
وقولهم: "إن خصلتين خيرهما الكذب لخصلتا سوء": يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله
بالكذب.

وقولهم: "أحاديث طسمٍ وأحلامها": يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له.
وقولهم: "أحشفاً وسوء كيلةٍ": يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.
وقولهم: "الحق أبلج، والباطل لجلج": معناه أن الحق واضح بين والباطل يتلجلج فيه أي
يتردد فلا يجد صاحبه مخرجا.
وقولهم: "الحزم سوء الظن بالناس": هذا المثل قاله أكثم بن صيفي.
وقولهم: "اختلط الخاثر بالزباد". الخاثر: ما خثر من اللبن، والزباد: الزبد: يضرب للقوم
يقعون في التخليط من أمرهم.
وقولهم: "أخطأت استه الحفرة": يضرب لمن رام شيئا فلم ينله.
وقولهم: "ادع إلى طعانك، من تدعوه إلى جفانك" إي استعمل في حوائجك من تخصه
بمعروفك.
وقولهم: "أروغاناً يا ثعال، وقد علقت بالحبال" ثعالة: يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه
الحق.
وقولهم: "إرم فقد أفقته مريشاً" يقال: أفقت السهم إذا وضعت فوقه في الوتر: يضرب لمن
تمكن من طلبته.
وقولهم: "أضرطاً وأنت الأعلى" قاله سليك بن سلكة السعدي، وذلك أنه بينا هو نائم إذ
جثم عليه رجل من الليل وقال: استأسر فقال له سليك: الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها
مثلا: ثم ضمه سليك بيديه ضمة أضرطته، فقال له: أضرطاً وأنت الأعلى فأرسلها مثلا:
يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى.
وقولهم: "أضللت من عشرٍ ثمانياً" يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر.
وقولهم: "أعط أخاك تمرة، فإن أبي فجمرة": يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة.
وقولهم: "أكذب النفس إذا حدثتها" معناه لا تحدث نفسك بأنك لا تظفر، فإن ذلك
يثبطك. قال لبيد:
أكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وقولهم: "أكبراً وإمعاراً" أي أتجمع بين الكبر والفقر.
وقولهم: "أمكراً وأنت في الحديد" هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو.

ابن سعيد لما قبض عليه وكبله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا تفضحني بأن
تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعل، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك
فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أنا أمية! أمكرا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن
يمكر وهو مقهور.
وقولهم: "أهون هالك عجوز في هام سنةٍ": يضرب للشيء يستخف به وبهلاكه.
قال الشاعر:
وأهون مفقود إذا الموت نابه على المرء من أصحابه من تقنعا
وقولهم: "أوسعتهم سباً وأودوا بالإبل" أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت،
فلما تواروا صعد أكمةً وجعل يسبهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله، فقال هذا المثل.
ويقال: إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى، وذلك أن الحارث بن ورقاء
الصيداوي أغار على بني عبد الله بن غطفان واستاق إبل زهير وراعيه، فقال زهير في
ذلك قصيدته التي أولها
بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقا أيةً سلكوا
وبعث بها إلى الحارث فلم يرد الإبل، فهجاه، فقال كعب ابنه: أوسعتهم سبا وأودوا بالإبل،
فذهبت مثلا: يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام.
وقولهم: "أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل": هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذي يقال فيه:
إنك ابل من مالك، وذلك أن مالكاً تروج بامرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن
القيام عليها والرفق بها، فقال مالك
أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل
فضرب مثلا لمن قصر في طلب الأمر.
وقولهم: "إن الشقي وافد البراجم" قاله عمرو بن هند الملك. وذلك أن سويد بن ربيعة
التميمي قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم، فسار
إليهم بجمعه فلقيهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي حمراء
بنت ضمرة، فلما نظر إليها قال: إني لأحسبك أعجمية، قالت: لا والذي أسأله أن يخفض
جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك ما أنا بأعجمية، قال: فمن أنت؟

قالت: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كابرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة،
قال: فمن زوجك؟ قالت: هوذة ابن جرول، قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت:
لو كنت أعلم مكانه حال بيني وبينك، فقال عمرو: أما والله لولا أني أخاف أن تلدي مثل
أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك، فقالت: والله ما أدركت ثارا، ولا محوت عارا، مع كلام
كثير كلمته به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت: ألا فتًى مكان عجوز! فذهبت
مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت: هيهات صارت الفتيان حمماً، فذهبت
مثلا ثم ألقيت في النار ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار
أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال:
أنا رجل من البراجم، قال: فما جاء بك إلينا؟ قال: سطع الدخان وكنت طويت منذ أيام
وظننته طعاما، فقال عمرو: إن الشقي وافد البراجم، فذهبت مثلا وأمر به فألقى في النار،
قيل: إنه أحرق مائة من بني تميم: تسعة وتسعين من بني دارم، وواحدا من البراجم.
وقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء
والصبيان، قال جرير
وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم وأدرك عمارا شقي البراجم
ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر:
إذا ما مات ميت من تميم وسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد
تراه ينقب الآفاق حولا ليأكل رأس لقمان بن عاد
وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا.
حرف الباء
تقول العرب: "بلغ السيل الزبى" هي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده لا
يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا: يضرب لمن جاوز الحد.
وقولهم: "بين العصا ولحائها" اللحاء: القشر: يضرب للمتخاللين المتفقين، ويروى: لا مدخل
بين العصا ولحائها.
وقولهم: "بينهم داء الضرائر" هي جمع ضرة يضرب للعداوة إذا رسخت بين قوم.

وقولهم: "بينهم عطر منشم" قال الأصمعي: منشم كانت عطارة بمكة وكانت خزاعة
وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها فإذا فعلوا ذلك كثرت بينهم القتلى فكان يقال:
أشأم من عطر منشم: يضرب في الشر العظيم، وفيه يقول زهير
تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقولهم: "به داء ظبي": أي أنه لا داء به كما أن الطبي لا داء به، وقيل: ربما يكون بالظَّبي
داء لا يعرف مكانه معناه أن به داءً لا يعرف.
وقولهم: "بلغت الدماء الثنن" الثنة، الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة: يضرب عند بلوغ
الشر النهاية.
وقولهم: "برح الخفاء" أي زال من قولهم ما برح، والمعنى زال الشر فوضح الأمر، ويقال:
الخفاء المتطاطىء من الأرض، والبراح المرتفع أي صار الخفاء براحا.
وقولهم: "بنان كف ليس فيها ساعد" يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما في نفسه.
وقولهم: "بات فلان يشوي القراح" يعني الماء الخالص لا يخالطه شيء: يضرب لمن ساءت
حاله، وفقد ماله بحيث يشوي الماء شهوةً للطبيخ.
وقولهم: "بخ بخ ساق بخلخالٍ" هي كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيءِ وكماله. وأول
من قال ذلك الورثة بنت ثعلبة، وذلك أن ذهل بن شيبان كان زوج الورثة وكانت لا تترك له
امرأة، إلا ضربتها فتزوج رقاش بنت عمرو بن عثمان من بني ثعلبة، فخرجت رقاش يوما
وعليها خلخالان، فقالت الورثة ذلك، فذهبت مثلا.
حرف التاء
وقولهم: "ترك الظبي ظله" أي كناسه الذي يستظل به: يضرب لمن نفر من شيء فتركه تركا
لا يعود له.
وقولهم: "تركته على مثل ليلة الصدر" وهي ليلة ينفر الناس من منًى فلا يبقى منهم أحد.
وقولهم: "تركته أنقى من الراحة" أي على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة:
يضرب في اصطلام الدهر.
وقولهم: "تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها": أي لا تكون ظنرا وإن آذاها الجوع.

أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعلقمة بن حصفة الطائي فزاره فنظر
إلى ابنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها، فقال: أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب،
ويدرك الطالب، ويمنح الراغب، فقال له علقمة: أنت كفء كريم يقبل منك الصفو، ويؤخذ
منك العفو، فأقم ننظر في أمرك، ثم انكفأ إلى أمها، فقال: إن الحارث سيد قومه حسبا
ومنصبا وبيتا، وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته، فقالت المرأة لابنتها: أي
الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت: بل الفتى
الوضاح، فقالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل،
كالحديث السن، الكثير المن، قالت يا أماه: إن الفتاة تحب الفتى، كحب الرعاء أنيق الكلا،
قالت: أي بنيه! إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يبلي شبابي،
ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها
الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم والف درهم، فابتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه
فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون
فتنفست الصعداء، ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال: ما يبكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ،
الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثكلتك أمك! تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها، ثم قال لها: وأبيك،
لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك،
وهذا المثل يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب.
وقولهم: "تحبشأ لقمان من غير شبعٍ": يضرب لمن يدعي ما ليس يملك.
وقولهم: "تخبر عن مجهوله مرآته": أي منظره يخبر عن مخبره.
وقولهم: "تشكو إلى غير مصمتٍ": أي إلى من لم يهتم بشأنك.
قال الشاعر
إنك لا تشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أومت
وقولهم: "تجاوز الروض إلى القاع القرق": يضرب لمن يعدل بحاجته من الكريم إلى اللئيم،
والقرق:" المستوى.

وقولهم: "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه" ويروى: لا أن تراه: يضرب لمن خبره خير من
مرآه، أول من قاله: المنذر بن ماء السماء.
وقولهم: "تقطع أعناق الرجال المطامع": يضرب في ذم الطمع.
وقولهم: "تقلدها طوق الحمامة" كناية عن الخصلة القبيحة التي لا تزايله ولا تفارقه.
حرف الثاء
وقولهم: "ثار حابلهم على نابلهم" الحابل: صاحب الحبالة، والنابل: صاحب النبل أي
اختلط أمرهم: يضرب في فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم.
وقولهم: "ثور كلابٍ في الرهان أقعد": هو كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة القيسي
كان يحمق، وذلك أنه يحمق، وذلك أنه ارتبط عجل ثور ليسابق عليه، والأقعد من القعيد
وهو المتخلف المتباطىء: يضرب لمن يروم ما لا يكون.
حرف الجيم
وقولهم: "جرى المذكيات غلاب" المذكية من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنةٌ أو
سنتان والغلاب المغالبة: يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل، وأول من
قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء.
وقولهم: "جزاء سنمار" وهو الذي بني الخورنق وتقدم خبره في مباني العرب.
وقولهم: "جرحه حيث لا يضع الراقي أنفه" قالته جندلة بنت الحارث، وكانت تحت
حنظلة بن مالك وهي عذراء، وكان حنظلة شيخا كبيراً فخرجت في ليلة مطيرة فبصر بها
رجل فوثب عليها وافتضها، فصاحت وقالت: لسعت. قيل أين؟ قالت: حيث لا يضع
الراقي أنفه: يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه.
وقولهم: "جعجعةً ولا أرى طحناً": يضرب لمن يعد ولا يفي؟
وقولهم: "جرى منه مجرى اللدود" وهو ما يصب في أحد شقي الفم من الدواء، يضرب لمن
يبغض ويكره.
وقولهم: "جماعةٌ على أقذاء". معناه اجتماع بالأبدان، وافتراق بالقلوب، وهو بمعنى قوله
صلى الله عليه وسلم "هدنةٌ على دخن": يضرب لمن يضمر أذى ويظهر صفاء.

وقولهم: "جار كجار أبي دؤاد" يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات
وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار، قال
طرفة
إني كفاني من أمر هممت به جارٌ كجار الحذاقي الذي اتصفا
والحذاقي هو أبو دؤاد.
وقولهم: "جدع الحلال أنف الغيرة" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة زفت فاطمة
إلى علي رضي الله عنهما.
وقولهم: "جوع كلبك يتبعك". أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان جائرا على أهل
مملكته يسلبهم ما في أيديهم وإن امرأته سمعت صوت السؤال فقالت: إني لأرحم هؤلاء وإني
لأخاف أن يكونوا عليك سباعا، بعدما كانوا لك أتباعا، فقال: جوع كلبك يتبعك، ثم إنه
غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له: قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره
خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه، فوافقهم على
ذلك، ثم وثبوا على الملك فقتلوه، فمر به عامر بن جذيمة وهو مقتول، فقال: ربما أكل الكلب
مؤدبه إذا لم ينل شبعه، فأرسلها مثلا، والمثل يضرب في اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به.
وقولهم: "جاءتهم عواناً غير بكر" أي مستحكمة غير ضعيفة يريدون حربا أو داهية
عظيمة.
وقولهم: "جاء بصحيفة المتلمس" إذا جاء بالداهية، وكان من خبر صحيفة المتلمس أن
المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن امرىء القيس فجعلهما في صحابة قابوس بن
المنذر أخيه وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو، فطال بقاؤهما عنده، فهجا
طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب معهما إلى أبي كرب عامله
على هجر أن يقتلهما، وقال: قد كتبت لكما بحباء ومعروف، فلما صدرا من عنده، قال
المتلمس لطرفة: هل لك في كتابينا، فإن كان فيهما خير مضينا له، وإن كان شرا اتقيناه،
فأبي طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوءة فألقاه في الماء وقال لطرفة: ألق كتابك فأبى

ومضى بكتابه، قال: ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام وسار طرفة بكتابه،
فلما انتهى إلى العامل قتله.
وقولهم: "جندلتان اصطكتا": يضرب لقرنين يتصاولان.
وقولهم: "جزيته حذو النعل بالنعل": للمكافأة.
وقولهم: "جاءوا على بكرة أبيهم" أي جاءوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد. وقيل: بل
البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أي بحيث تحملهم بكرة أبيهم. وقيل بل البكرة التي
يستقي عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد، وقيل:
المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم، وقال ابن الأعرابي: البكرة: جماعة
من الناس أي بأجمعهم.
وقولهم: "جاوز الحزام الطبيين": يضرب في تجاوز الحد.
حرف الحاء
وقولهم: "حرك لها حوارها تحن" الحوار: ولد الناقة، والجمع القليل أحورة والكثير حوران
وحيران، معناه ذكره بعض أشجانه يهج له، قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن
يستنصر أهل الشام، أي أرهم دم عثمان على قميصه.
وقولهم: "حلبتها بالساعد الأشد" أي أخذتها بالقوة إذ لم يتأت بالرفق.
وقولهم: "حذو القذة بالقذة" أي مثلا بمثل: يضرب في التسوية بين الشيئين، ومثله: حذو
النعل بالنعل، وقد تقدم.
وقولهم: "حلب الدهر أشطره" معناه أنه اختبر الدهر شطري خيره وشره فعرف ما فيه.
وقولهم: "حسبك من غنًى شبعٌ ورى"، قال امرؤ القيس

إذا ما لم تكن إبل فمعزي كأن قرون جلتها العصى
فتملا بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنًى شبعٌ ورى

قال أبو عبيدة: يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شبعك وريك، والآخر
القناعة باليسير.
وقولهم: "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق" أي اكتف بالقليل عن الكثير.
وقولهم: "حسبك من شرٍ سماعه" أي اكتف بسماعه ولا تعاينه، قال: ويجوز أن يريد
يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه، والمثل قالته فاطمة بنت الخرشب من
بني أنمار بعض بن بغيض أم الربيع بن زياد، وذلك أن ابنها الربيع كان أخذ من قيس بن

زهير بن جذيمة درعا، فتعرض قيس لأم الربيع وهي على راحلتها فأراد أن يذهب بها
ليرتهنها بالدرع، فقالت له: أين عزب عنك عقلك يا قيس؟ أترى بني زياد مصالحيك! وقد
ذهبت بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاءوا، وإن حسبك من شر سماعه،
فذهبت كلمتها مثلا تقول: كفى بالمقالة عارا وإن كان باطلا.
وقولهم: "حلقت به عنقاء مغرب": يضرب لما يئس منه، قال الشاعر
إذا ما ابن عبد الله خلى مكانه فقد حلقت بالجود عنقاء مغرب
قال الميداني: والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال: كان بأرض الرس
جبل يقال له: دمخ مصعد في السماء، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق طويلة، وهي من
أحسن الطير، فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبة وتنقض على الطير فتأكلها، فجاعت
يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب: لأنها تغرب
بكل ما تأخذه، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها
صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم: خالد بن صفوان،
فقال: اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آفة! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها
العرب مثلا.
قال عنترة بن الأخرس الطائي في مرثية خالد بن زيد
لقد حلقت بالجود عنقاء كاسرٌ كفتخاء دمخ حلقت بالحزور
فما إن لها بيضٌ فيعرف بيضها ولا شبه طير منجدٍ أو مغور
وقولهم: "حتام تكرع ولا تنقع" كرع إذا تناول الماء بفيه من موضعه: يضرب للحريص في
جمع الشيء.
وقولهم: "حسبك من إنضاجه أن تقتله": يضرب لطالب الثأر فيقول: لأقتلن فلانا وقومه
أجمعين فيقال: لا تعد، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك: ويضرب لمتجاوز الحد.
حرف الخاء
قولهم: "خير حالبيك تنطحين": يضرب لمن يكافىء المحسن بالإساءة، ومثله: خير إناءيك
تكفئين.
وقولهم: "خامري أم عامر" معناه استتري، وأم عامر: الضبع، يشبه بها الأحمق، ومثله:

خامري حضاجر، أتاك ما تحاذر: وهو اسم للذكر والأنثى من الضباع.
وقولهم: "خلا لك الجو فبيضي واصفري" قاله طرفة بن العبد، وكان في سفر مع عمه
فنصب فخا للقنابر ونثر حباً فلم يصد شيئا، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذي
نثره لهن، فقال في ذلك
يا لك من قنبرةٍ بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فما ذا تحذري لا بد من صيدك يوما فاصبري
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها.
وقولهم: "خلع الدرع بيد الزوج" المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل، وكان زوجها
كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقال لها: اخلعي، فقالت: خلع الدرع بيد الزوج.
فقال: اخلعيه لأنظر إليك، فقالت: التجرد لغير النكاح مثلةٌ، فذهبت كلمتاها مثلين يضربان
في وضع الشيء في غير موضعه.
وقولهم
خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه
يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك.
وقولهم: "خمر أبي الروقاء ليست تسكر": يضرب للغني الذي لا فضل له على أحد.
حرف الدال
قولهم: "دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا" أي استعد للنوائب قبل حلولها، والتدميث:
التليين.
وقولهم: "دع امرءاً وما اختار": يضرب لمن لا يقبل النصح، قال الشاعر:
إذا المرء لم يدر ما أمكنه ولم يأت من أمره أزينه
وأعجبه العجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوماً ويبكي سنه
حرف الذال
وقولهم: "ذكرني فوك حماري أهلي" أصله أن رجلا يطلب حمارين ضلاله، فرأى امرآةً
فأعجبته فنسى الحمارين، فلما أسفرت عن وجهها رآها فوهاء فقال: ذكرني فوك حماري
أهلي، وقال
ليت النقاب على النساء محرمٌ كي لا تغر قبيحةٌ إنسانا
وقولهم: "ذهبوا ايدي سبا" ويقال: تفرقوا، أي تفرقوا تفريقا لا اجتماع معه.

وقصة سبإ لما تفرقوا بسبب سيل العرم مشهورة، وسند كرها إن شاء الله تعالى في
التاريخ.
وقولهم: "ذهبوا شغر بغر، وشذر مذر، وخذع مذع" أي في كل وجه.
وقولهم: "ذل بعد شماسه اليعفور": يضرب لمن انقاد بعد جماحه، واليعفور: فرس.
وقولهم: "ذهبت طولا، وعدمت معقولا": يضرب للطويل بلا طائل.
حرف الراء
وقولهم: "رمتني بدائها وانسلت" أصل هذا المثل: أن سعد بن زيد مناة تزوج رهم ابنة
الخزرج، وكانت من أجمل النساء، وكان ضرائرها إذا سابينها يقلن لها: يا عفلاء، فقالت لها
أمها: إذا سابينك فابدئيهن بذلك، ففعلت رهم ذلك مع ضرتها، فقالت: رمتني بدائها
وانسلت، فذهبت مثلا: يضرب لمن يعير الآخر بما هو يعير به.
وقولهم: "رماه بثالثة الأثافي" وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران وينصب عليها
القدر: يضرب لمن رمى بداهية عظيمة.
وقولهم: "رب صلفٍ تحت الراعدة" الصلف: قلة الخير، والراعدة: السحابة ذات الرعد:
يضرب للبخيل مع السعة.
وقولهم: "رجع بخفي حنين" أصله أن حنينا كان إسكافا بالحيرة وساومه أعرابي بخفين
فاختلفا حتى أغضبه، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق
الأعرابي، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه، فلما مر الأعرابي بالخف الأول قال: ما
أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما، ثم مر بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ
راحلته وانصرف إلى الأول وقد كمن له حنين، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي
إلى أهله ليس معه غير خفي حنين، فذهبت مثلا: يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع
بالخيبة.
وقولهم: "رب ساعٍ لقاعد، وآكلٍ غير حامد" أول من قاله النابغة الذبياني، وكان سببه
ذلك أن وفداً وفد إلى النعمان وفيهم رجل من بني عبس يقال له: شقيق، فمات عنده، فلما
حبا النعمان الوفود بعث بحبائه إلى أهله، فقال النابغة في ذلك.

أتى أهله منه حباءٌ ونعمةٌ ورب امرىءٍ يسعى لآخر قاعد

وقولهم: "رب ملوم لا ذنب له" قاله أكثم بن صيفي، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه
عليه وهم لا يعرفون عذره، وقيل: إن رجلا قال للأحنف ابن قيس: أنا أبغض التمر والزبد،
فقال: رب ملوم لا ذنب له.
وقولهم: "رب كلمةٍ تقول لصاحبها دعني": يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار،
ذكروا أن ملكا من ملوك حمير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء،
فقال النديم: لو أن إنسانا ذبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه، فأمر بذبحه، وقال:
رب كلمة تقول لصاحبها دعني.
ومثله قولهم: "رب رأسٍ حصيد لسان": يضرب للأمر بالسكوت.
وقولهم: "رد الحجر من حيث جاءك": أي لا تقبل الضيم وارم من رماك.

حرف الزاي

وقولهم: "زين في عين والدٍ ولده": يضرب في عجب الرجل برهطه.
وقولهم: "زاحم بعود أو دع" أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة.
وقولهم: "زوجٌ من عود، خير من قعود"، قالته بعض نساء العرب، قالوا: كان ذو الإصبع
العدواني غيورا، وله بنات أربع، وكان لا يزوجهن غيرة عليهن، فاستمع عليهن يوما وقد
خلون يتحدثن، فقالت إحداهن: لتقل كل واحدة منا ما في نفسها، ولنصدقن جميعا،
فاشتهت كل واحدة من الثلاثة زوجا وصفت من جماله وكماله وسعة حاله، ثم أبت
الصغرى أن تتكلم، فقالوا: لا بد أن تقولي، وألحوا عليها، فقالت: زوجٌ من عود، خيرٌ من
قعود، فزوجهن.
وقولهم: "زرغباً تزدد حباً" قاله معاذ بن صرم الخزاعي، وكانت أمه من عك، وكان يكثر
من زيارة أخواله، فأقام فيهم زماناً، ثم خرج يتصيد مع بني أخواله، فحمل على عير، فلحقه
ابن خال له يقال له: الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان: والله! لو كان فيك خير لما
تركت قومك، فقال: زرغباً، تزدد حباً، فأرسلها مثلا، وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا شئت أن تقلي فزر متواليا وإن شئت أن تزداد حبا فزرغبا

وقال آخر:

عليك بإغباب الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسأم دائما ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا
حرف السين
وقولهم: "سبق السيف العذل" قاله ضبة بن أد لما لامه الناس على قتل قاتل ابنه في الحرم،
ويقال: إنه لخزيم بن نوفل الهمداني.
وقولهم: "سقط العشاء به على سرحان" أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء، فوقع على
ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابي: أصله أن رجلا من بني غني يقال له: سرحان ابن هزلة كان
بطلا فاتكا فقال رجل! والله لأرعين إبلي هذا الوادي، فورد بإبله، فوجد سرحان فقتله،
وأخذ إبله وقال:
أبلغ نصيحة أن راعي أهلها سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متقمرٍ طلق اليدين معاودٍ لطعان
يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف.
ومثله قولهم" :سقط العشاء به على متقمرٍ" وهو الأسد.
وقولهم: "سكت ألفاً، ونطق خلفاً" الخلف: الرديء من القول وغيره.
وقولهم: "ساء سمعاً فأساء جابة" أول من قاله سهيل بن عمرو أخو بني عامر، وكان قد
خرج بابنه أنس، فوقف بحزورة مكة، فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي فقال له: من هذا؟
فقال: ابني! فقال: حياك الله يا فتى أين أمك؟ فقال: لا والله ما أمي في البيت، ولكنها
انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: ساء سمعا فأساء جابة، فأرسلها مثلا.
وقولهم: "سحاب نوءٍ ماؤه حميم": يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير.
وقولهم: "سوء الاستمساك خير من حسن الصرعة": معناه حصول البعض مع الاحتياط
خير من الكل مع التهور.
حرف الشين
قولهم: "شخبٌ في الإناء وشخبٌ في الأرض": يضربلمن يتكلم فيصيب مرة ويخطىء
أخرى.
وقولهم: "شرق بالريق" أي ضره أقرب الأشياء إلى نفعه.
وقولهم: "شنشنةٌ أعرفها من أخزم" قاله أبو أخزم الطائي:
وكان له ابن يقال له: أخزم،
فمات وترك بنين، فوثبوا على جدهم يوما فأدموه، وكان أبوهم عاقاً له فقال
إن بني ضرجوني بالدم شنشنةٌ أعرفها من أخزم

وقولهم: "شمر ذيلا، وادرع ليلا": يضرب على الحث في الجد والطلب.
وقولهم: "شنوءة بين يتامى رضع" الشنوءة: ما يستقذر من القول والفعل: يضرب لقوم
اجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناهٍ.
وقولهم: "شيخٌ بحوران له ألقاب" وبعده الذئب والعقعق والغراب حوران بأرض الشام:
يضرب لمن يظهر للناس العفاف، ومن حقه أن يحترز منه.
وقولهم: "شغل الحلي أهله أن يعارا": يضرب للمسؤل شيئا هو إليه أحوج من السائل.
وقولهم: "شب عمروٌ عن الطوق" قاله جذيمة الأبرش، وعمرو هذا هو ابن أخته وهو
عمرو بن عدي بن نصر.
حرف الصاد
قولهم: "صبراً على مجامر الكرام" قال ذلك يسار الكواعب، وكان عبدا أسود يرعى لأهله
إبلاً ضخمة، وكان معه عبد يراعيه، فمر أهله يوما سائرين بحذاء الإبل التي يرعاها، فعمد
إلى لقوح فحلبها في علبة، حتى ملأها ثم مشى بها، وكان أفجح الرجلين، حتى أتى بها ابنة
مولاه يسقيها، وهي راكبة على جملها، فنظرت إلى رجليه فتبسمت، ثم شربت اللبن وجزته
خيرا، فانطلق فرحا حتى أتى صاحبه، فقص عليه القصة، فقال: اسخر بنفسك ولا
تسخر ببنات الأحرار، فقال: والله لقد دحكت إلى دحكةً لا أخيبها، يريد: ضحكت:
وكان أعجمي اللسان، ثم باتا فقام فحلب في علبة فملأها، ثم أتى ابنة مولاه، فنبهها من
نومها فاستيقظت وشربت، ثم اضطجعت وجلس يسار حيالها، فقالت: ما حاجتك؟
فقال: ما أعلمك بحاجتي! فقالت: لا والله! فما هي؟ قال: ذاك الرجل الذي حكت إلي.
فقالت: حياك الله، وقامت إلى سفطٍ لها فأخرجت منه بخورا ودهنا طيبا وعمدت إلى
موسى كانت تحف به الشعرة وأخذت مجمرة فيها ناراً فيها نار، فوضعت عليها البخور
ووضعتها تحته، وطأطأت كأنها تصلح البخور، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى،
فلما أحس بحرارة الحديد، قال: صبراً على مجامر الكرام، ثم أومأت إلى أنها تدهنه وقالت:
إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارةً فتصبر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك، ثم

أشمته الدهن على الموسى، ورفعته فوضعته بين عينيه
فاستلتت بها أنفه. وقالت: قم إلى
إبلك يا بن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه. قال: أمقبل أنت أم
مدبر؟ قال: أخزاك الله،
أو قد عمى بصرك؟
إذ لا ترى أنفا ولا أذنين أما ترى وباصة العينين
هذا أحد الأقوال في هذا المثل: يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما
يكره. ويقال: إن أعرابياً
قدم الحضر بإبل، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له، ففطن
قوم من جيرته لما معه من المال،
فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا في
ماله، فرغب فيها فزوجوه
إياها، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الحي، وجلس الأعرابي في صدر
المجلس، فأكلوا الطعام
وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابي، ثم أتوه بكسوة فاخرة،
فلبسها وقدموا له مجمرة فيها
بخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على
المجمرة، سقطت مذاكيره في
النار، فظن أن ذلك سنةٌ لا بد منها، واستحيا أن يكشف ثوبه.
فقال: صبرا على مجامر
الكرام، فذهبت مثلا واحترقت مذاكيره، وتفرق القوم، وارتحل
إلى البادية وترك المرأة والمال،
فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة. قالوا: استٌ لم تعود
المجمر، فذهبت مثلا: يضرب
لمن لا قديم له.
وقولهم: "صار الزج قدام السنان": يضرب في سبق المتأخر
المتقدم من غير استحقاق
لذلك.
وقولهم: "صرح المحض عن الزبد": يضرب للأمر إذا انكشف
وتبين.
وقولهم: "صفقةٌ لم يشهدها حاطب" هو حاطب بن أبي بلتعة
كان حازما، فباع بعض
أهله بيعة غبن فيها حين لم يشهدها حاطب، فسارت مثلا لكل
أمر ينبرم دون صاحبه.
حرف الضاد
قولهم: "ضربه ضرب غرائب الإبل" وذلك أن الغريبة تزدحم على
الحياض عند الورود،
وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله: يضرب في دفع
الظالم عن ظلمه بأشد ما
يمكن.
وقولهم: "ضل الدريص نفقه" الدريص: ولد الفأرة واليربوع
والهرة وأشباه ذلك، ونفقه:

حجره: يضرب لمن يعني بأمره ويعد حجةً لخصمه، فينسى عند الحاجة.
وقولهم: "ضل حلم امرأةٍ فأين عيناها؟" أي هب أن عقلها ذهب فأين ذهب بصرها؟:
يضرب في استبعاد عقل الحليم.
وقولهم: "ضائف الليث قتيل المحل": يضرب لمن اضطر لشيء فغرر بنفسه في طلبه.
حرف الطاء
قولهم: "طويته على بلاله وعلى بللته" قال الشاعر
وصاحبٍ مرامقٍ داجيته على بلال نفسه طويته
ويقال: طويت السقاء على بللته إذا طويته وهو ندٍ لأنه إن طوى يابسا تكسر، وإن طوى
نديا عفن: يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب، قال الشاعر
ولقد طويتكم على بللاتكم وعلمت ما فيكم من الأذراب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعا وإذا المودة أقرب الأنساب
والأذراب: جمع ذربٍ وهو الفساد.
وقولهم: "طويته على غره": غر الثوب: أثر كسره الأول: يضرب لمن يوكل إلى رأيه وما
انطوى عليه.
حرف الظاء
قولهم: "ظالعٌ يعود كسيرا": يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه.
وقولهم: "ظئرٌ رءوم، خيرٌ من أمٍ سؤوم": الظئر، الحاضنة، والرءوم: العطوف، والسؤوم:
الملول: يضرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام.
وقولهم: "ظاهر العتاب خيرٌ من باطن الحقد" معناه ظاهر.
وقولهم: "ظلال صيفٍ ما لها قطار": يضرب لمن له ثروة ولا يجدي على أحد.
حرف العين
قولهم: "عند الصباح يحمد القوم السرى" أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر
رضي الله عنه، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق، ونالته مشقة بسبب العطش، فأسرى
حتى أدرك الماء فقال: عند الصباح يحمد القوم السرى: يضرب لمن يحمل المشقة رجاء
الراحة.
وقولهم: "عند جهينة الخبر اليقين": يضرب في معرفة الشيء حقيقة.
وقولهم: "عير عاره وتده" أي أهلكه، وأصله أن رجلا أشفق على حماره فربطه إلى وتد،
فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه.

وقولهم: "عند النطاح يغلب الكبش الأجم" وهو الذي لا قرن له: يضرب لمن غلبه صاحبه
بما أعد له.
وقولهم: "على أهلها تجني براقش" قالوا: كانت براقش كلبةً لقوم من العرب، فأغير عليهم
فهربوا وهي معهم، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنباحها، فأدركوهم فقتلوهم، ففيها يقول حمزة
بن بيض
بل جناها أخٌ على كريمٌ وعلى أهلها براقش تجني
وقيل في هذا المثل غير ذلك.
وقولهم: "عسى الغوير أبؤسا" الغوير: تصغير غارٍ، والابؤس: جمع بؤس وهو الشدة، قالته
الزباء عند رجوع قصير من العراق، ومعه الرجال، وكان الغوير على طريقه، ومعناه لعل
الشر يأتيكم من قبل الغار: يضرب للرجل يقال له: لعل الشر جاء من قبلك.
وقولهم: "عشبٌ ولا بعير": يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره.
وقولهم: "عاد غيثٌ على ما أفسد": يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحه أكثر.
وقولهم: "عاد السهم إلى النزعة" أي رجع الحق إلى أهله.
وقولهم: "عصا الجبان أطول" لأنه يفعل ذلك من فشله، يرى أن طولها أشد ترهيبا لعدوة
من قصرها.
وقولهم: "على الخبير سقطت" المثل لمالك بن جبير العامري، وتمثل به الفرزدق حين لقي
الحسين بن علي رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق
وخروج الحسين إليه وقد قال له:
ما وراءك؟ فقال: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والنصر
من السماء.
وقولهم: "عادة السوء شرٌ من المغرم" معناه أن المغرم إذا أذيته فارقك، وعادة السوء لا
تفارق صاحبها.
وقولهم: "عجعج لما عضه الظعان" أي صاح، والظغان: نسعٌ يشد به الهودج: يضرب لمن
يضج إذا لزمه الحق.
وقولهم: "عند الرهان تعرف السوابق": يضرب لمن يدعي ما ليس فيه.
وقولهم: "عاد الأمر إلى نصابه": يضرب في الأمر يتولاه أربابه.
وقولهم: "عينك عبري والفؤاد في دد" الدد والددن والددا: اللعب واللهو: يضرب لمن يظهر

حزنا لحزنك وفي قلبه خلاف ذلك.
وقولهم: "عرفطةٌ تسقى من الغوادق" ويروى: الغوابق،
العرفطة: شجرةٌ خشنة المس،
والغوادق: السحاب الكثير الماء: يضرب للشرير يكرم ويبجل.
حرف الغين
قولهم: "غدةٌ كغدة البعير وموتٌ في بيت سلولية" قاله عامر بن الطفيل: وذلك أنه لما قدم
على النبي صلى الله عليه وسلم! وقدم معه أربد بن قيس أخو لبيد ابن ربيعة العامري
الشاعر لأمة، فقال رجل: يا رسول الله، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل، قال: "دعه فإن يرد
الله به خيراً يهده" فأقبل حتى قام عليه، فقال: يا محمد، مالي إن أسلمت؟ قال: لك ما
للمسلمين وعليك ما عليهم" قال: تجعل لي الأمر بعدك، قال: "ليس ذاك إلي، إنما ذاك إلى
الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر، قال: "لا" قال: فما
ذا تجعل لي؟ قال: "أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها" قال: أو ليس ذلك إلى اليوم؟ وكان
قد أوصى إلى أربد بن قيس: "إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف" فاخترط
أربد سيفه شبراً فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله، فالتفت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال: "اللهم اكفنيهما بما شئت" فأرسل الله تعالى على
أربد صاعقةً في يومٍ صائفٍ صاحٍ فأحرقته، وولي عامر بن الطفيل هارباً وقال يا محمد،
دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك خيلا جرداً وفتيانا مردا، فقال: رسول الله
صلى الله عليه وسلم "يمنعك الله من ذلك" فسار عامر حتى نزل ببيت امرأة سلولية،
فخرجت على ركبته غدةٌ عظيمة، فقال: غدة كغدة البعير وموتٌ في بيت سلولية، ثم مات
على ظهر فرسه، وسلول أقل العرب وأذلهم، فسار كلامه مثلا: يضرب في خصلتين إحداهما
شرٌ من الأخرى.
وقولهم: "غرني برداك من خدافلي" ويروى: من غدافلي، أصل المثل أن رجلا استعار
بردي امرأة فلبسهما، ورمى بخلقانٍ كانت عليه، فاسترجعت المرأة برديها فقاله: يضرب لمن
ضيع ماله طمعاً في مال غيره.
حرف الفاء

قولهم: "في وجه المال تعرف أمرته" أي نماءة وخيره، ويقال: أمرت أموال بني فلان إذا نمت
وكثرت: يضرب لمن يستدل بحسن ظاهره على حسن باطنه.
وقولهم: "في بيته يؤتى الحكم" زعمت العرب أن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب
فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحسل، قال: سميعاً دعوت،
قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى
الحكم، قالت: إني وجدت تمرةً، قال: حلوةٌ فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه
بغى الخير، قالت: لطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: لطمني، قال: حر انتصر، قالت: فاقض
بيننا، قال: حدث حديثين امرأةً، فإن أبت فأربعةً، فذهبت أقواله كلها أمثالا.
وقولهم: "فتًى ولا كمالك" قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك لما قتل.
وقولهم: "في دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها" أول من قاله جارية من مزينة، قال الحكم
بن صخر الثقفي: خرجت منفرداً فرأيت بإمرة وإمرة موضع، جاريتين أختين لم أر
كجمالهما، فكسوتهما وأحسنت إليهما، قال: ثم حججت من قابل ومعي أهلي، وقد
اعتللت ونصل خضابي، فلما صرت بإمرة، إذا إحداهما قد جاءت، فسألت سؤال منكرة،
قال فقلت: فلانة؟ قالت: فدًى لك أبي وأمي، وأني تعرفني وأنكرك؟ قال فقلت: أنا الحكم
بن صخر، قالت: رأيتك عام أول شاباً سوقةً، وأراك العام شيخاً ملكاً، وفي دون هذا ما
تنكر المرأة صاحبها، فذهبت مثلا، قال قلت: ما فعلت أختك؟ قال: فتنفست الصعداء،
وقالت: تزوجها ابن عم لها وذهب بها، فذاك حيث تقول

إذا ما قفلنا نحو نجد وأهلها فحسبي من الديا قفولٌ إلى نجد

قال قلت: أما إني لو أدركتها لتزوجتها، قالت: وما يمنعك من شريكتها في حسنها وجمالها
وشقيقتها؟ قال قلت: يمنعني من ذلك قول كثير حيث يقول

إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول

فقالت: كثير بيني وبينك، أليس الذي يقول

هل وصلت عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف

قال: فتركت جوابها عيا.

وقولهم: "فاتكةٌ واثقةٌ بري" زعموا أن امرأة كثر لبنها وطفقت تهريقه، فقال لها زوجها: لم
تهر يقينه؟ فقالت: فاتكة واثقة بري: يضرب للمفسد الذي وراء ظهره ميسرة.
حرف القاف
قولهم: "قطعت جهيزة قول كل خطيب" أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين
حيين، قتل أحدهما من الآخر قتيلا ليرضوا بالدية، فبينما هم في ذلك، إذ جاءت أمة يقال
لها: جهيزة، فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله، فقالوا: قطعت جهيزة
قول كل خطيب: يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله.
وقولهم: "قبل البكاء كان وجهك عابسا": يضرب للبخيل يعتل بالإعدام. ومثله: "قبل
النفاس كنت مصفرة.
وقولهم: "قلب الأمر ظهراً لبطن": يضرب في حسن التدبير.
وقولهم: "قد شمرت عن ساقها فشمري": يضرب في الحث على الجد في الأمر.
وقولهم: "قد يضرط العير والمكواة في النار" قاله عرفطة بن عرفجة سيد بني هزان، وكان
بينه وبين الحصين بن نبيت العكلي حروب ووقائع، فقتلت عكل رجلا من بني هزان، وأسر
عرفطة بن عكل رجلين، فقال لهما: أيكم أفضل لأقتله بصاحبنا؟ فجعل الآخر يضرط،
فقال عرفطة: قد يضرط العير والمكواة في النار، فأرسلها مثلا: يضرب للرجل يخوف بالأمر
فيجزع قبل وقوعه. وهذا أحد الأقوال فيه، وقيل غير ذلك.
وقولهم: "قد بين الصبح لذي عينين": يضرب في ظهور الأمر كل الظهور.
وقولهم: "قد أنصف القارة من راماها" القارة: قبيلةٌ قد تقدم ذكرها في الأنساب.
وقولهم: "قبل الرماء تملأ الكائن" أي تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه.
ومثله: "قبل الرمي يراش السهم": يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها.
وقولهم: "قلب له ظهر المجن": يضرب لمن كان لصاحبه على مودة، ثم حال عن عهده.
وقولهم: "قد ألقى عصاه" إذا استقر من سفر أو غيره، يقال: إنه لما بويع لأبي العباس
السفاح، قام خطيبا فسقط القضيب من يده، فقام رجل من القوم وأنشد

فألقت عصاه واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر
وقولهم: "قد ونى طرفاه": يضرب لمن ذل وضعف عن أن يتم له أمر، قال النجاشي:
وإن فلانا والإمارة كالذي ونى طرفاه بعد ما كان أجدعا
وقولهم: "قدت سيورهم من أديمك": يضرب للشيئين يستويان في الشبة قال الشاعر
وقدت من أديمهم سيوري
وقولهم: "قد بلغ الشظاظا الوركين" الشظاظا: عويد يجعل في عروة الجوالق: يضرب فيما
جاوز الحد، وهو كقولهم: جاوز الحزام الطبيين.
حرف الكاف
قولهم: "كان كراعاً، فصار ذراعا": يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قوياً.
وقولهم: "كلامُ كالعسل، وفعلٌ كالأسل": يضرب في اختلاف القول والفعل.
وقولهم: " كنت تبكي من الأثر العافي فقد لاقيت أخدودا": يضرب لمن يشكو القليل من
الشر ثم يقع في الكثير.
وقولهم: "كل ذات بعلٍ ستئيم" هذا من أمثال أكثم بن صيفي، قال الشاعر
أفاطم إني هالك فتثبتي ولا تجزعي كل النساء تئيم
أي ستفارق زوجها.
وقولهم: "كل أزب نقور" قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد، ونذكر الخبر في وقائع العرب.
وقولهم: "كل فتاة بأبيها معجبة": يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه.
وقولهم: "كل الصيد في جوف الفرا" الفرا: الحمار الوحشي، أصل المثل أن ثلاثة نفر
خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنبا، والآخر ظبيا، والثالث حمارا، فتطاولا عليه
بصيدهما، فقال: كل الصيد في جوف الفرا: يضرب لمن يفضل على أقرانه، وقد تمثل به
رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقولهم: "كدمت غير مكدم": يضرب لمن يطلب شيئا في غير مطلبه.
وقولهم: "كالثور يضرب لما عافت البقر": يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم، ويأتي ذكر
ذلك في أوابد العرب.
وقولهم: "كالكبش يحمل شفرةً وزنادا": يضرب لمن يتعرض للهلاك.

وقولهم: "كالمستغيث من الرمضاء بالنار": يضرب في الخلتين يجتمعان على الرجل.
وقولهم: "كالقابس العجلان": يضرب لمن عجل في طلب حاجته.
وقولهم: "كلاهما وتمرا" أول من قاله عمرو بن جمران الجعدي، وذلك أنه مر برجل وبين يديه
زبد وسنام وتمر، فقال: أنلني مما بين يديك، فقال: إيما أحب إليك أزبد أم سنام؟ فقال:
كلاهما وتمرا، فسارت مثلا.
وقولهم: "كالباحث عن المدية" يقال: إن رجلا وجدا صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به،
فبحث الصيد بأظلافه في الأرض، فسقط على شفرة فذبحه بها: يضرب في طلب الشيء
يؤدي صاحبه إلى تلف النفس.
وقولهم: "كذى العر يكوي غيره وهو راتع": يضرب في أخذ البريء بذنب الجاني، ويأتي
ذكره في أوابد العرب.
وقولهم: "كالمحتاض على عرض السراب": يضرب لمن يطمع في محال.
وقولهم: "كل لياليه لنا حنادس": يضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره.

حرف اللام

قولهم: "لو ذات سوار لطمتني": معناه لو ظلمني من كان كفؤا لي لهان علي، ولكن ظلمني
من هو دوني، وهو كقول بعضهم:

فلو أني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما ألقى ولكن تعالي فانظري بمن ابتلاني

وقولهم: "لو غير ذات سوارٍ لطمتني" روى الأصمعي: أن حاتما الطائي مر ببلاد عنزة في
بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم: يا أبا سفانة: أكلني الإسار والقمل، فقال: ويحك،
أسأت إذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القوم به ثم قال: أطلقوه واجعلوا يدي في
القد مكانه، ففعلوا ذلك، ثم جاءته امرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته فقال: لو غير ذات
سوار لطمتني، يعني أني لا أقتص من النساء، ثم عرف، ففدي نفسه فداءً عظيماً.
وقولهم: "لو ترك القطا ليلا لنام" قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مرادٍ،
فطرقوه ليلا، فأثاروا القطا، فرأته امرأته فنبهته فقال: إنما هذا القطا، فقالت: لو ترك القطا

ليلا لنام، فسار مثلا: يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته، وقيل: إن التي قالته له
حذام بنت الريان.
وقولهم: "لبس له جلد النمر": يضرب في إظهار العداوة وكشفها.
وقولهم: "لقد ذل من بالت عليه الثعالب": أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما،
فجاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك:
أربٌّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب
وقولهم: "ليس هذا بعشك فادرجي": يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره.
وقولهم: "لم أجد لشفرتي محزا": يضرب عدرا في تعذر الحاجة.
وقولهم: "لو سئلت العارية أين تذهبين لقالت أكسب أهلي ذما" هذا من كلام أكثم بن
صيفي: يضرب في سوء الجزاء للمنعم.
وقولهم: "ليس من العدل، سرعة العذل" أي لا ينبغي أن تعجل بالعذل قبل أن تعرف
العذر.
وقولهم: "ليس القدامى كالخوافي": يضرب عند التفضيل.
وقولهم: "لو كويت على داءٍ لم أكره" أي لو عوتبت على ذنب ما امتعضت.
وقولهم: "ليس على الشرق طخاءٌ يحجب" أي ليس على الشمس سحاب: يضرب في
الأمر المشهور الذي لا يخفي على أحد.
وقولهم: "لأكوينه كية المتلوم" أي كيا بليغا، والمتلوم: الذي يتتبع الداء حتى يعلم مكانه:
يضرب في التهديد الشديد.
وقولهم: "لأمرٍ ما جدع قصيرٌ أنفه" قالته الزباء لما رأت قصيرا مجدوعا، وخبره يأتي في باب
المكايد.
حرف الميم
قولهم: "ما تنفع الشفعة في الوادي الرغب" الشفعة: المطرة الهينة، والرغب: الواسع: يضرب
للذي يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا.
وقولهم: "ما وراءك يا عصام؟" يقال: أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة، وذلك
انه بلغه جمال ابنة عوف بن محلم فأرسل إليها امرأة ذات عقل ولسان، يقال لها: عصام،
وقال: اذهبي لتعلميني بحالها، فلما انتهت إليها ونظرتها خرجت وهي تقول: "ترك الخداع،

من كشف القناع" فذهبت مثلا، فأرسلتها مثلا،ثم عادت إليه فقال لها: ما وراءك يا
عصام؟ فقاالت: صرح المحض عن الزبد وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قالته
عصام في وصف أعضاء المخطوبة.
وقولهم: "ما يوم حليمة بسر" هي حليمة بنت الحارث بن أبي شمر، كان أبوها وجه
جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مركنٍ فطيبتهم، فلما انتهت إلى
لبيد بن عمرو وذهبت لتخلقه، قبلها، فلطمته وأتت أباها، فقال لها: ويلك اسكتي عنه،
فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤادٍ، وإني مرسله، فإن قتل فقد كفى الله شره، فسار إلى المنذر
بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، فقيل فيه: ما يوم حليمة بسر.
وقولهم: "ما أشبه الليلة بالبارحة": أي ما أشبه بعض القوم ببعض.
وقولهم: "مرعًى ولا كالسعدان" قالوا: السعدان أخثر العشب لبنا، ومنابته السهول:
يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله، وأول من قال المثل: خنساء بنت عمرو بن
الشريد، وقيل: بل قالته امرأة من طيء تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي فقال لها: أين
أنا من زوجك الأول؟ فقالت: مرعًى ولا كالسعدان، أي إنك إن كنت رضاً فلست
كفلانٍ.
وقولهم: "ماءٌ ولا كصداء" صداء: ركية عذبة، قال ضرار السعدي
وإني وتهيامي بزينب كالذي تطلب من أحواض صداء مشربا
معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها، كالذي يرد الماء فإنه يزاحم عليه لفرط
عذوبته.
وقولهم: "محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا": هو سالم بن دارة الغطفاني: ودارة: امه،
وكان قد هجا بعض بني فزارة فاغتاله زميل فقتله، ففيه يقول الكميت
فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا
وقولهم: "ملكت فأسجح" الإسجاح: حسن العفو، أي ملكت الأمر فأحسن العفو، وقد
تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، ونذكر الخبر في ذلك في المغازي.

وقولهم: "من ينكح الحسناء يعط مهرها": أي من طلب حاجة بذل ماله فيها.
وقولهم: "من سره بنوه ساءته نفسه" قاله ضرار بن عمرو الضبي: وكان له ولده ثلاثة عشر
رجلا، كلهم قد غزا ورأس، فرآهم يوما وأولادهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع
كبر سنه، فقال: من سره بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلا.
وقولهم: "من أشبه أباه فما ظلم": معناه ظاهر.
وقولهم: "من ير يوما ير به": قاله كلحب بن شؤبوب الأسدي، وكان يغير على طيء وحده،
فدعا حارثة بن لأم رجلا من قومه يقال له: عترم، فقال له: أما تستطيع أن تكفيني مؤونة
هذا الخبيث؟ فقال: بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم
فوجده نائما في ظل أراكةٍ فنزل ومعه آخر فأخذ كل واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فنزع
يده اليمنى من ممسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدوه وثاقا
وأتوا به حارثة، فقال له: يا كلحب، إن كنت أسيرا فطالما أسرت، فقال: من ير يوماً ير به،
فأرسلها مثلا، وقال حوذة وهو ابن المقتول لحارثة: أعطنيه أقتله بأبي، فقال: دونكه!
وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كتافه حتى انحل، ثم وثب على رجليه فاتبعوه بالخيل
فأعجزهم.
وقولهم: "من سلك الجدد أمن العثار" الجدد: الأرض المستوية: يضرب في طلب العافية.
وقولهم: "من يشتري سيفي وهذا أثره؟" قاله الحارث بن ظالم، وذلك أنه لما قتل خالد بن
جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسي على ما نذكره إن شاء الله في وقائع العرب
وهرب، فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدركوه سحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة
وكروا عليه فجعل لا يقصد لجماعة إلا فرقها وهو يقول: من يشتري سيفي وهذا أثره،
فارتدعوا عنه وانصرفوا إلى النعمان.
وقولهم: "من مال جعدٍ وجعدٌ غير محمود": قاله جعد بن الحصين أبو صخر ابن جعد
الشاعر، وكان قد كبر فتفرق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه، فعلقت بفتى
من الحي يقال له: عرابة، فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال في

ذلك
أبلغ لديك بني عمرو مغلغلةً عمرا وعوفا وما قولي بمردود
بأن بيتي أمسى فوق داهيةٍ سوداء قد وعدتني شر موعود
تعطى عرابة بالكفين مجتنحاً من الخلوق وتعطيني على العود
أمسى عرابة ذا مالٍ يسر به من مال جعدٍ وجعدٌ غير محمود
يضرب للرجل يصاب من ماله ويذم.
وقولهم: "من مأمنه يؤتى الحذر" قاله أكثم بن صيفي.
وقولهم: "من يمش يرض بما ركب": يضرب للذي يضطر إلى ما كان يرغب عنه.
وقولهم: "من يلق أبطال الرجال يكلم" قاله عقيل بن علقمة المري، وقد رماه عملس ابنه
بسهم فحل فخذيه، فقال أبياتا منها
إن بني زملوني بالدم شنشنةٌ أعرفها من أخزم
من يلق أبطال الرجال يكلم
وقولهم: "من لا يذد عن حوضه يهدم" أي من لم يدفع عن نفسه يظلم، قاله زهير بن أبي
سلمى.
وقولهم: "مكره أخوك لا بطل" قاله أبو حنش خال بيهس: يضرب لمن يحمل على ما ليس
من شأنه.
وقولهم: "من نام لا يشعر بشجو الأرق": يضرب لمن غفل عما يعانيه صاحبه من المشقة.
حرف النون
قولهم: "نفس عصامٍ سودت عصاما": هو عصام بن شهبر حاجب النعمان ابن المنذر:
يضرب في نباهة الرجل من غير قديم، وقيل في هذا
نفس عصامٍ سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكًا هماما
وقولهم: "نظرةٌ من ذي علق" أي من ذي هوًى: يضرب لمن ينظر بود.
وقولهم: "نزت به البطنة": يضرب لمن لا يحتمل النعمة، قال الشاعر
فلا تكونن كالنازي ببطنته بين القرينين حتى ظل مقرونا
وقولهم: "نجوت وأرهنتهم مالكا" قال عبد الله بن همام السلولي
فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنتهم مالكا
يضرب لمن ينجو من هلكة نشب فيها شركاؤه وأصحابه.
وقولهم: "نام عصام ساعة الرحيل": يضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولي.
حرف الهاء
قولهم: "هدنةٌ على دخن".

وقولهم: "هذا أوان شدكم فشدوا".
ومثله قولهم: "هذا أوان الشد فاشتدي زيم" قال الأصمعي:
زيم: اسم فرس: يضرب
للرجل يؤمر بالجد.
وقولهم: "هو على حبل ذراعك" أي الأمر فيه إليك: يضرب في
قرب المتناول، وحبل
الذراع: عرقٌ في اليد.
وقولهم: "هان على الأملس ما لاقي الدبر": يضرب في سوء
اهتمام الرجل بشأن صاحبه.
وقولهم: "هو بين حاذف وقاذف" الحاذف بالعصا، والقاذف
بالحصى: يضرب لمن هو بين
الشرين.
وقولهم: "هو على طرف الثمام" الثمام: نبت ضعيف سهل
المتناول تسد به خصائص
البيوت، وربما حشيت به المخاد، قالوا: إنه ينبت على قدر قامة
الإنسان: يضرب في تسهيل
الحاجة وقرب النجاح.
وقولهم: "هي الخمر تكنى الطلاء": يضرب للأمر ظاهره حسن
وباطنه على خلاف ذلك.
حرف الواو
قولهم: "وافق شنٌّ طبقة" قال الشرقي بن القطامي: كان
رجل من دهاة العرب وعقلائهم
يقال له: شنٌّ فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله
فيتزوجها، فبينا هو في بعض
مسيره إذ وافقه رجل في الطريق فسارا جميعا، فقال له شنٌ:
أتحملني أم أحملك؟ فقال: أنا
راكب وأنت راكب، فكيف تحملني أو أحملك؟ ثم سارا فانتهيا
إلى زرع قد استحصد،
فقال شنٌّ: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال: لم أر أجهل منك،
نبتا مستحصدا فتقول: أكل
أم لا؟ فسكت، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة، فقال
شنٌّ: أترى صاحب هذا
النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل: ترى جنازة تسأل عنها أميت
صاحبها أم حي؟
فسكت عنه شنٌّ وأراد مفارقته فأبى أن يتركه وسار به إلى
منزله، وكان للرجل بنت يقال
لها: طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فقال: ما
رأيت أجهل منه، وحدثها
بحديثه، فقالت: يا أبت ما هذا بجاهل؟ قوله: اتحملني أو
أحملك؟ أراد أتحدثني أم
أحدثك، وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فأراد هل باعه
أهله فأكلوا ثمه أم لا؟ وأما

الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعد مع شنٌّ فحادثه، وقال
له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني؟ قال نعم، ففسره فقال شنٌّ: ما هذا من كلامك،
فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنة لي، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله، فلما
رأوها قالوا: وافق شنٌ طبقة، فذهبت مثلا: يضرب للمتوافقين، وقال الأصمعي: هم وقم
كان لهم وعاء من أدمٍ فتشنن فجعلوا له طبقا فوافقه فقيل: وافق شنٌّ طبقه، ورواه أبو
عبيدة في كتابه، وقال ابن الكلبي: طبقة: قبيلةٌ من إياد كانت لا تطاق فأوقعت بها شن بن
أفصى بن دعمي، فانتصفت منها وأصابت فيها فضربتا مثلا وأنشد.

لقيت شنٌّ إيادا بالقنا طبقاً وافق شنٌ طبقه

وقولهم: "وجدت الناس اخبر تقله" أصله اخبر الناس تقلهم: يضرب في ذم الناس وسوء
معاشرتهم.
وقولهم: "ولود الوعد عاقر الإنجاز": يضرب لمن يكثر وعده ويقل نقده.
وقولهم: "ودع مالاً مودعه": لأنه إذا استودعه غيره فقد ودعه وغرر به ولعله لا يرجع
إليه.
وقولهم: "ومورد الجهل وبي المنهل" يضرب في النهي عن استعمال الجهل.
ما جاء في أوله لا
قولهم: "لا مخبأ لعطرٍ بعد عروس" ويقال: "لا عطر بعد عروس" أول من قاله امرأة من
عذرة، يقال لها: أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوج من بني عمها يقال له: عروسٌ، فمات
عنها، فتزوجها رجل من قومها يقال له نوفل، وكان أعسر أبخر بخيلا ذميما، فلما دخل بها
قال: ضمي إليك عطرك، فقالت: لا عطر بعد عروس، ذهبت مثلا، ويقال: إن رجلا تزوج
امرأة، فلما أهديت إليه وجدها تفلةً فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته، فقال لها: لا
مخبأ لعطرٍ بعد عروس: يضرب مثلا لمن لا يدخر عنه نفيسٌ.
وقولهم: "لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين": يضرب لمن أصيب ونكب مرة بعد أخرى، يقال
هذا من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأبي عزة الشاعر وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فمن عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أحدٍ فأسره، فقال: من علي،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" أي لو كنت مؤمنا لم
تعد لقتالنا.
وقولهم: "لا أطلب أثراً بعد عين" أول من قاله مالك بن عمرو العامري، وكان من حديثه أن
بعض ملوك غسان كان يطلب في بني عامر ذحلاً فأخذ منهم مالكا وسماك ابني عمرو
العامري فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما، فقال لهما: إني قاتل أحدكما، فأيكما أقتل؟ فجعل
كل واحد منهما يقول: اقتلني مكان أخي، فقتل سماكاً وخلى سبيل مالك، فقال سماك حين
ظن أنه مقتول

فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حيةً راصدة
برأس سبيلٍ على مرقب ويوما على طرقٍ وارده
فأم سماكٍ فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده

وانصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمانا ثم إن ركبا مروا وواحد منهم يتغنى بقول سماكٍ
فأقسموا لو قتلوا مالكا
فسمعته أم سماك، فقالت: يا مالك، قبح الله الحياة بعد سماك، اخرج في الطلب فخرج
فلقي قاتل أخيه يسير في ناسٍ من قومه فقال:
من أحس لي الجمل الأحمر، فقالوا له وقد عرفوه: يا مالك اكفف ولك مائة من الإبل، فقال:
لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا.
وقولهم: "لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا": أصله في الحرباء: يضرب لمن لا يدع حاجةً إلا
سأل أخرى.
وقولهم: "لا ماءك أبقيت، ولا حرك أنقيت": ويروى: ولا درنك، أصله أن رجلا كان في
سفر ومعه امرأته، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير فاغتسلت به فنفذ ولم يكفها
لغسلها فعطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل: إن الذي قاله الضب بن أروى الكلاعي
قاله لامرأته عمرة بنت سبيع، قال الفرزدق

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر

وقولهم: "لا ناقتي في هذا ولا جملي" المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليبا
وهاجت الحرب بين الفريقين واعتزلهما الحارث، قال الراعي

وما هجرتك حتى قلت معلنةً لا ناقةٌ لي في هذا ولا جمل

يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة.
وقولهم: "لا ينتطح فيها عنزان" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقولهم: "لا ينبت البقلة، إلا الحقلة" الحقلة: القراح، أي لا يلد الوالد إلا مثله: ويضرب مثلا
للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس.
وقولهم: "لا تدخل بين العصا ولحائها": يضرب في المتخالين المتصافين.
وقولهم: "لا يحزنك دمٌ هراقة أهله" قال هذا المثل جذيمة: يضرب لمن يوقع نفسه فيما لا
مخلص له منه.
حرف الياء
قولهم: "يداك أوكتا وفوك نفخ" أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر
على زق قد نفخ فيه فلم يحسن إحكامه، فلما توسط البحر خرجت منه الريح فغرق
فاستغاث برجل، فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ، فذهبت مثلا: يضرب لمن يجني على نفسه
الحين.
وقولهم: "يشج ويأسو": يضرب لمن يصيب في التدبير مرة ويخطىء أخرى، قال الشاعر
إني لأكثر مما سمتني عجبا يد تشج وأخرى منك تأسوني
وقولهم: "يسر حسواً في ارتغاء" أصله أن الرجل يؤتي باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة
فيشربها، وهو في ذلك ينال من اللبن: يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه،
قال الكميت:
فإني قد رأيت لكم صدودا وتحساءً بعلة مرتغينا
وقولهم: "يمشي رويداً ويكون أولا" يضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدةٍ ودعةٍ، وينشد فيه:
تسألني أم الوليد جملا يمشي رويدا ويكون أولا
وقولهم: "يصبح ظمآن وفي البحر فمه: يضرب لمن يعاشر بخيلا مثريا.
وقولهم: "يملأ الدلو إلى عقد الكرب": مأخوذ من قول عتبة بن أبي لهب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب
وهو الحبل الذي يشد في وسط العراقي: يضرب لمن يبالغ فيما يلي من الأمر.
وقولهم: "يكوي البعير من يسير الداء": يضرب في حسم الأمر الضائر قبل أن يعظم
ويتفاقم.

وقولهم: "يعود على المرء ما يأتمر" ويروى: يعدو، معناه يعود على الرجل ما تأمره به نفسه
فيأتمر، أي يمتثله ظناً منه أنه رشد، وربما كان هلاكه فيه، ومنه قول امرىء القيس
أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر
مما يتمثل به من أشعار الجاهلية
امرؤ القيس بن حجر: قد تقدم من شعره في الاستشهاد على أمثال العرب ما يستغنى عن
إعادته في هذا المكان.
ومن شعره:
والبر خير حقيبة الرجل رضيت من الغنيمة بالإياب
إن الشقاء على الأشقين مصبوب
وقال أيضا:
وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العتاب
وقال:
فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب
زهير بن أبي سلمى يقول:
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما يكن عند امرىء من خليقة ولو خالها تخفي عن الناس تعلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرةٍ يضرس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه مطيع العوالي ركبت كل لهذم
وقال أيضاً:
وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل
وقال أيضاً:
والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر
وقال أيضاً:
فإن الحق مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاء
يقول: إنما الحقوق تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حجةٌ واضحة، وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق.
النابغة الذبياني: اسمه زياد بن عمرو، ويكنى أبا أمامة، غلب عليه النابغة لأنه عبر برهةً

لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكذلك الجعدي، وقيل: إنما لقب بالنابغة لقوله:

فقد نبغت لهم منا شؤون

وقيل في نسبه: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان.

فما يتمثل به من شعره قوله

فإنك كالليل الذي هو مدركي فإن مطية الجهل الشباب

وقال

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذب

وقال أيضاً:

استبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعض بغاربٍ ملحاحا

طرفة بن العبد يقول

حنانيك بعض الشر أهون من بعض ما أشبه الليلة بالبارحه

وقال أيضاً:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقال أيضاً:

وأعلم علما ليس بالشك أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

أوس بن حجرٍ يقول:

فإنكما يا ابنيّ حبابٍ وجدتما كمن دب يستخفي وفي الكف جلجل

وقال أيضاً:

وما ينهض البازي بغير جناحه ولا يحمل الماشين إلا الحوامل

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال أيضاً:

ولست بخابيٍّ أبدا طعاما حذار غدٍ لكل غدٍ طعام

بشر بن أبي خازم يقول

وأيدي الندى في الصالحين قروض كفى بالموت نأياً واغترابا

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال أيضاً:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضاً:

ولا يقيم على ذل يراقبه إلا الأذلان عير السوء والوتد

هذا على السخف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

الأفوه الأودي يقول

إنما نعمة دنيا متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مستعار
وصروف الدهر في أطباقه حلقة فيها ارتفاعٌ وانحدار
بينما الناس على عليائها إذ هووا في هوة منها فغاروا
وقال أيضاً:
والبيت لا يبتنى إلا له عمدٌ ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت وإن تولت فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تميم بن أبي مقبل يقول
خليلي لا تستعجلا وانظرا غداً عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشدا
وقال أيضاً:
ما أنعم العيش لو أن الفتى حجرٌ تنبو الحوادث عنه وهو ملموم
حميد بن ثور يقول
أرى بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داءً أن تصح وتسلما
ولن يلبث العصران يوما وليلةً إذا طلبا أن يدركا ما تيمما
عدي بن زيد يقول
كفى واعظا للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتغتدي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي
وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله وقام جناة الشر للشر فاقعد
قال أيضاً:
يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
وقال
قد يدرك المبطىء من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص
وقال
لو بغير الماء حلقي شرقٌ كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وقال
فهل من خالدٍ إما هلكا وهل بالموت يا للناس عار
الأسود بن يعفر يقول
ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض تخيرها لطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم دؤاد
أهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ في ظل ملكٍ ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير إلى بلًى ونفاد

علقمة بن عبدة يقول

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليهم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضاً:

وكل حصن وإن طالت إقامته على دعائمه لا بد مهدوم
ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشئوم

عمرو بن كلثوم يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا
وإن غداً وإن اليوم رهنٌ وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلزة يقول

لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج
واصبب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

حاتم الطائي يقول

أماوى ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

وقال أيضاً:

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

المرقش الأصغر يقول

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

النمر بن تولب يقول

يود الفتى طول السلامة جاهدا فكيف ترى طول السلامة يفعل

وقال أيضاً:

ومتى تصبك خصاصةٌ فارج الغنى وإلى الذي يهب الرغائب فارعب
لا تغضبن على امرىء في ماله وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وقال

فلا وأبي الناس لا يعلمو ن للخير خيرٌ وللشر شر
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

مهلهل بن ربيعة، واسمه عدي يقول

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم
أنكحها فقدها الأراقم في جنبٍ وكان الخباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطبٍ بدم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من ذلة ولا عدم

طفيل الغنوي يقول

إن النساء كأشجار نبتن معا منهن مرٌ وبعض المر مأكول
إن النساء متى ينهين عن خلقٍ فإنه واجب لا بد مفعول

عروة بن الورد يقول

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائع
وقال أيضاً:
ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغيبةً ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
الأعشى: وهو ميمون بن قيس بن بني قيس بن ثعلبة يقول
كناطحٍ صخرةً يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل
وقال أيضاً:
تعالوا فإن الحكم عند ذوي النهي من الناس كالبلقاء بادٍ حجولها
وقال أيضاً:
ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلومٍ مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وإن يسىء يكن ما أثار النار في رأس كبكبا
وقال أيضاً:
عودت كندة عادةً فاصبر لها اغفر لجاهلها ورو سجالها
لقيط بن معبد يقول
قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
هيهات ما زالت الأموال مذ أبدٍ لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا
تأبط شرا: وهو ثابت بن جابر يقول
لتقرعن على السن من ندمٍ إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي
المثقب العبدي يقول
فإما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثى من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدوا أتقيك وتتقيني
فإني لو تعاندني شمالي عنادك ما وصلت بها يميني
الممرق العبدي يقول
فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق
أفنون التغلبي يقول
لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
الأضبط بن قريع السعدي يقول
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
لا تحقرن الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه
واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعيشه نفعه
سويد بن أبي كاهل يقول
رب من أنضجت غيظا قلبه قد تمنى لي موتا لم يطع
ويراني كالشجى في حلقه عسراً مخرجه ما ينتزع
ويحييني إذا لاقيته وإذا يحلو له لحمي رتع
انتهى ما يتمثل به من أشعار الجاهلية.

ما يتمثل به من أشعار المخضرمين
المخضرمون: هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.
منهم لبيد بن ربيعة، وفاته سنة إحدى وأربعين، وعمره مائة سنة وسبع وخمسون سنة
يقول
وإذا رمت رحيلا فارتحل واعص ما يأمر توصيم الكسل
واكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزرى بالأمل
وقال أيضاً:
وما المال والأهلون إلا وديعةٌ ولا بد يوما أن ترد الودائع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وقال أيضاً:
كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي في السلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء
وقال أيضاً:
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب
وقال أيضاً:
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
كعب بن زهير يقول
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
النابغة الجعدي: وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله ويكنى
النابغة: أبا ليلى، وهو أسن من الذبياني، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية، وهو الذي
قال له النبي صلى الله عليه وسلم" لا يفضض الله فاك" فما سقطت له سن، وفي رواية:
فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن تنبت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة،
وقيل أكثر.
ومما يتمثل به من شعره قوله
ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا
وقال أيضاً:
كليب لعمري كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم
أمية بن أبي الصلت الثقفي يقول
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا
حسان بن ثابت يقول
وإن امرا يمسي ويصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد
وقال أيضاً:
رب حلمٍ أضاعه عدم الما ل وجهلٍ غطى عليه النعيم

ما أبالي أنب بالحزن تيسٌ أم لحاني بظهر غيبٍ لئيم
الحطيئة: واسمه جرول بن أوس بن مخزوم. وقيلً: جرول بن أوس بن مالك ابن غطفان بن
سعد ويكنى: أبا مليكة، والحطيئة لقبٌ غلب عليه، قيل لقب به لقصره وقربه من الأرض،
وقيل: حبق في مجلس قومه فقال: إنما هي حطأة فسمي الحطيئة.
فمما يتمثل به من شعره قوله
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
وقال أيضاً:
أقلوا عليهم لا اباً لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
متمم بن نويرة يقول
وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا
أبو ذؤيب الهذلي يقول
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع
الخنساء: وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد تقول
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
وقالت أيضاً:
نهين النفوس وبذل النفو س عند الكريهة أبقى لها
عمرو بن معد يكرب يقول
إذا لم تستطع أمرا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وقال أيضاً:
ليس الجمال بمئزرٍ فاعلم وإن رذيت بردا
إن الجمال مآثرٌ ومكارمٌ أو رثن مجدا
معن بن أوس يقول
وفي الناس إن رثت حبالك واصلٌ وفي الأرض عن دار القلى متحول
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل
وقال أيضاً:
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

وقال أيضاً:

هل الدهر والأيام إلا كما ترى رؤية مالٍ أو فراق حبيب

أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي يقول

إن للفتنة ميطاً بيننا فرويد الميط منها تعتدل

فإذا كان عطاءٌ فأتهم وإذا كان قتالٌ فاعتزل

انتهى ما يتمثل به من أشعار المخضرمين.

ما يتمثل به من أشعار صدر الإسلام

القطامي: واسمه عمير بن شيم يقول

ومعصية الشفيق عليك مما يزيدك مرةً منه استماعا

وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا

أراهم يغمزون من استركوا ويجتنبون من صدق المصاعا

كذاك وما رأيت الناس إلا إلى ما جر جانيهم سراعا

وقال أيضاً:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات بعض القوم أمرهم مع التأني وكان الرأي لو عجلوا

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

الطرماح بن حكيم بن الحكم يقول

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيضٌ إلى كل امريء غير طائل

وأني شقي باللئام ولن ترى شقياً بهم إلا كريم الشمائل

الكميت بن زيد الأسدي يقول

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبٌ فلا رأى للمضطر إلا ركوبها

وقال أيضاً:

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها ويا حاطبا في حبل غيرك تحطب

المساور بن هند يقول

شقيت بنو أسدٍ بشعر مساورٍ إن الشقي بكل حبلٍ يخنق

عدي بن الرقاع يقول

وإذا نظرت إلى أميري زادني ضنا به تطوى إلى الأمراء

بل ما رأيت جبال أرضٍ تستوي فيما عشيت ولا نجوم سماء

كالبرق منه وابلٌ متتابع جودٌ وآخر ما يبض بماء

والمرء يورث مجده أبناءه ويموت آخر وهو في الأحياء

الفرزدق، واسمه همام بن غالب يقول:

فواعجبا حتى كليبٌ تسبني كأن أباها نهشلٌ أو مجاشع

وقال أيضاً:

ترجى ربيعٌ أن يجيء صغارها بخير وقد أعيا عليك كبارها

وقال أيضاً:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمةٍ وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقال أيضاً:
يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال مكتسب
وقال أيضاً:
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
وقال أيضاً:
قل لنضرٍ والمرء في دولة السل طان أعمى ما دام يدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال عاد بصيرا
وقال أيضاً:
ولا تلين لسلطان يكايدنا حتى يلين لضرس الماضغ الحجر
وقال أيضاً:
هل ابنك إلا ابن من الناس فاصبرن فلن يرجع الموتى حنين المآتم
جرير: هو ابن الخطفى توفي سنة عشر ومائة يقول:
إن الكريمة ينصر الكرم ابنها اللئيمة للئام نصور
وقال أيضاً:
زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع
وقال أيضاً:
وابن اللبون إذا مالز في قرنٍ لم يستطع صولة البزل القناعيس
وقال أيضاً:
رأيتك مثل البرق يحسب ضوءه قريبا وأدنى ضوئه منك نازح
وقال ايضاً:
أما الرجال فجعلانٌ ونسوتهم مثل القنافذ لا حسنٌ ولا طيب
الأخطل: واسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: اسمه غياث ابن
غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو، ورفع نسبه إلى جشم بن بكر ويكنى:
أبا مالك، قال: وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة.
فمما يتمثل به من شعره قوله:
والناس همهم الحياة ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون لصالح الأعمال
قال أيضاً:
إن الصنيعة تلقاها وإن قدمت كالعر يكمن حينا ثم ينتشر
وأقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر
وقال أيضاً:
وإذا دعوتك يا أخي فإنه أحنى إليك مودةً ووصالا
وإذا دعونك عمهن فإنه نسبٌ يزيدك عندهن خبالا

وقال أيضاً:
ضفادع في ظلماء ليلٍ تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر
وقال أيضاً:
يا مرسل الريح جنوباً وصبا إن غضبت قيسٌ فزدها غضبا
الصلتان العبدي يقول:
وإن يك بحر الحنظليين واحدا فما يستوي حيتانه والضفادع
وما يستوي صدر القناة وزجها وما يستوي في الراحتين الأصابع
كثير عزه: وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، توفي سنة خمس ومائة يقول
وإني وتهيامي بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبةٍ إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
هنيئا مريئا غير داءٍ مخامرٍ لعزة من أعراضنا ما استحلت
وقال أيضاً:
قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزه ممطولٌ معنىً غريمها
وقال أيضاً:
ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرةٍ يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
جميل يقول
فإن يك حربٌ بين قومي وبينها فإني لها في كل نائبةٍ سلم
وقال أيضاً:
ولرب عارضةٍ علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها في القول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ وصلاً وصلتك أو أتتك رسائلي
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول
ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أكبادنا مما نجد
واستبدت مرةً واحدةً إنما العاجز من لا يستبد
وقال أيضاً:
لا تلمني وأنت زينتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان
ما يتمثل به من أشعار المحدثين
منهم إبراهيم بن هرمة يقول
عجبت أثيلة أن رأتني مخلقا ثكلتك أمك أي ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلقٌ وجيب قميصه مرقوع
وقال أيضاً:
كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيض أخرى جناحا
بشار بن برد يقول
إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
وقال أيضاً:
ولا تجعل الشورى عليك غصاضةً فإن الخوافي عدة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيفٍ لم يؤيد بقائم
وقال أيضاً:
كبكرٍ تشهى لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح
وقال أيضاً:
أنت من قلبها محل شرابٍ يشتهي شربه ويخشى صداعه
وقال أيضاً:
الحر يلحى والعصا للعبد وليس للمحلف مثل الرد
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقعةٍ من جلدي
وقال أيضاً:
وإذا جفوت قطعت عنك منافعي والدر يقطعه جفاء الحالب
وقال أيضاً:
ولولا الذي خبروا لم أكن لا مدح ريحانةً قبل شم
وقال أيضاً:
تأتي المقيم وما سعى حاجاته عدد الحصى ويخيب سعي الناصب
وقال أيضاً:
أنا والله أشتهي سحر عيني ك وأخشى مصارع العشاق
وقال أيضاً:
نرجو غدا وغداً كحاملةٍ في الحي لا يدرون ما تلد
وقال أيضاً:
تسقط الطير حيث ينتثر الح ب وتغشى منازل الكرماء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء
وقال أيضاً:
والصعب يمكن بعد ما جمحا ولن تبلغ العليا بغير الدراهم
وقال أيضاً:
ولا بد من شكوى إلا ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
أبو العتاهية يقول
أذل الحرص أعناق الرجال وكل غنًّى في العيون جليل
رواءح الجنة في الشباب وأي الناس ليس له عيوب
وقال أيضاً:
إن الشباب والفراغ والجده مفسدةٌ للدين أي مفسده
وقال أيضاً:
أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعةً مجك فوه
وقال أيضاً:
ما يحرز المرء من أطرافه طرفا إلا تخونه النقصان من طرف
وقال أيضاً:

يصاد فؤادي حين أرمي ورميتي تعود إلى نحري ويسلم من أرمى

وقال أيضاً:

ولرب شهوة ساعةٍ قد أورثت حزنا طويلا

سلم بن عمرو الخاسر: وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو بصري لقب الخاسر لأنه ورث من أبي مصحفا فباعه واشترى بثمنه طنبورا، وقيل: بل خلف أبوه مالا فأنفقه في الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسر الصفقة، فلقب بذلك.

فمما يتمثل به من شعره قوله

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

لولا منى العاشقين ماتوا غماً وبعض المنى غرور

وقال أيضاً:

ولو ملكت عنان الريح تصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب

وقال أيضاً:

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهدٌ من الخبر

صالح بن عبد القدوس يقول

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسه

والجاهل الآمل ما في غدٍ كحفظه في اليوم أو أمسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه

والحمق داءٌ ماله حيلةٌ ترجى كبعد النجم من لمسه

وقال أيضاً:

وإن عناءً أن تفهم جاهلا فيحسب جهلاً أنه منك أفهم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضاً:

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

وقال أيضا:

شر المواهب ما تجود به من غير محمدة ولا أجر

وقال أيضا:

لا تجد بالعطاء في غير حقٍّ ليس في منع غير ذي الحق بخل

إنما الجود أن تجود على من هو للجود منك والبذل أهل

وقال أيضا:

يشقى رجالٌ ويشقى آخرون بهم ويسعد الله أقواما بأقوام

وليس رزق الفتى من لطف حيلته لكن جدودٌ بأرزاقٍ وأقسام

كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد يرمى فيرزقه من ليس بالرامي

وقال أيضا:

إن يكن به ما أصبت جليلا فذهاب العزاء منه أجل

كل آتٍ لا شك آت وذو الجه ل معنًى والغم والحزن فضل

ابن ميادة هو الرماح بن أبي أبرد كنيته شرحبيل يقول
واعجبا من خالدٍ كيف لا يخطيء فينا مرةً بالصواب
وقال أيضا:
وأرانا كالزرع يحصده الده ر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركبٌ مخبو ن سراعٌ لمنهلٍ مورود
أبو نواس الحسن بن هانيء يقول
دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ألا رب إحسان عليك ثقيل
وقال:
وللرجاء حرمةٌ لا تجهل وأي جدٍّ بلغ المازح
وقال أيضا:
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق
وقال أيضا:
لا أذود الطير عن شجرٍ قد بلوت المر من ثمره
وقال أيضا:
وليس لله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد
وقال أيضا:
صار جداً ما مزحت به رب جدٍّ ساقه اللعب
وقال أيضا:
كفى حزناً أن الجواد مقترٌ عليه ولا معروف عند بخيل
وقال أيضا:
وأوبة مشتاقٍ بغير دراهمٍ إلى أهله من أعظم الحدثان
أبو عيينة المهلبي يقول
وكيف جحود القلب والعين تشهد ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وشتان ما بين الولاية والعزل
وقال أيضا:
وإذا تطاولت الرءو س فغط رأسك ثم طاطه
عبد الله بن أبي عتبة المهلبي يقول
كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء
وقال أيضا:
ما كنت إلا كلحم ميتٍ دعا إلى أكله اضطرار
العباس بن الأحنف يقول
لو كنت عاتبةً لسكن روعتي أملي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فما لصدك حيلةٌ صد الملول خلاف صد العاتب
وقال أيضا:
صرت كأني ذبالةٌ نصبت تضيء للناس وهي تحترق
وقال أيضا:
أرى الطريق قريباً حين أسلكه إلى الحبيب بعيداً حين أنصرف
وقال أيضا:
كفى حزناً أن التباعد بيننا وقد جمعتنا والأحبة دار
وقال أيضا:

اقمنا مكرهين بها فلما ألفناها خرجنا مكرهينا
وقال أيضاً:
ولا خير في ودٍّ يكون بشافعٍ من عالج الشوق لم يستبعد الدارا
مسلم بن الوليد: هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة: أسعد بن زرارة الخزرجي
ولقب صريع الغواني، ومما يتمثل به من شعره قوله
دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني
وكان يقول أخذت معنى هذا البيت من التوراة.
وقال أيضا:
يعد الفتى مر الليالي سليمةً وهن به عما قليل عواثر
وقال أيضا:
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرضٌ عززت به وأنت ذليل
منصور النمري: هو منصور بن الزبرقان بن سلمة، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان بن
شريك، مطعم الكبش الرخم، سمي بذلك لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحر لهم، ثم رفع رأسه
فإذا هو برخم يحمن حول أضيافه، فأمر أن يذبح لهن كبشٌ ويرمى لهن ففعل ذلك ونزلت
عليه فمزقنه، وهو ابن مالك بن سعد بن عامر الضحيان، سمي بذلك لأنه كان سيد قومه
وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، وهو ابن سعد ابن الخزرج بن تيم الله بن
النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار.
فمما يتمثل به من شعره قوله
لعل لها عذراً وأنت تلوم ورب امريءٍ قد لام وهو مليم
وقال أيضا:
ما كنت أوفى شبابي كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
وقال أيضا:
أقلل عتاب من استربت بوده ليست تنال مودةٌ بعتاب
العتابي: هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود ابن عمرو
بن كلثوم الشاعر ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن
عمرو بن غنم بن تغلب.
فمما يتمثل به من شعره قوله
وإن عظيمات الأمور مشوبةٌ بمستودعات في بطون الأساود
وقال أيضا:

ولله في عرض السموات جنة ولكنها محفوفة بالمكاره
وقال أيضا:
قلت للفرقدين والليل ملقٍ سود أكنافه على الآفاق
ابقيا ما بقيتما سوف يرمى بين شخصيكما بسهم الفراق
أشجع السلمى: هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرقة.
فمما يتمثل به من شعره قوله
نسيبك من أمسى يناجيك طرفه وليس لمن تحت التراب نسيب
وقال أيضا:
سبق القضاء بكل ما هو كائن فليجهد المتقلب المحتال
وقال أيضا:
داءٌ قديم في بني آدمٍ فتنة إنسان بإنسان
وقال أيضا:
وعلى عدوك يا ابن عم محمدٍ رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام
الجرهمي
وأعددته ذخرا لكل ملمةٍ وسهم الرزايا بالذخائر مولع
وقال أيضا:
إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعضٍ قريب
وقال أيضا:
أرى الحلم في بعض المواطن دلةً وفي بعضها عزا يسود فاعله
وقال أيضا:
ودون الندى في كل قلبٍ ثنيةٌ لها مصعدٌ حزن ومنحدرٌ سهل
وقال أيضا:
العيش لا عيش إلا ما قنعت به قد يكثر المال والإنسان مفتقر
وقال أيضا:
وهل حازم إلا كآخر عاجز إذا حل بالإنسان ما يتوقع
محمود الوراق: هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زهرة، ويكنى أبا الحسن.
فمما يتمثل به من شعره قوله
وإذا غلا شيءٌ على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
وقال أيضا:
ما كدت أفحص على أخي ثقةٍ إلا ذممت عواقب الفحص
وقال أيضا:
الدهر لا يبقى على حالة لا بد أن يقبل أو يدبرا
فإن تلقاك بمكروهه فاصبر فإن الدهر لن يصبرا
وقال أيضا:
إذا كان وجه العذر ليس بواضح فإن اطراح العذر خيرٌ من العذر

محمود بن حازم الباهلي
ألا إنما الدنيا على المرء فتنةٌ على كل حال أقبلت أم تولت
وقال أيضا:
وقائلٍ كيف تفرقتما فقلت قولا فيه إنصاف
لم يكً لي شكلا ففارقته والناس أشكالٌ وألاف
السموءل بن عادياء
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وقال أيضا:
إذا كنت ملحياً مسيئا ومحسننا فغشيان ما تهوى من الأمر أكيس
محمد بن أبي زرع الدمشقي
لا يؤنسنك أن تراني ضاحكا كم ضحكة فيها عبوس كامن
وقال أيضا:
قد يمهن الهندي وهو حسام ويحث الجواد وهو جواد
أبو الشيص: واسمه محمد بن رزين بن تميم بن نهشل، وأبو الشيص لقبٌ غلب عليه،
وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن علي.
فمما يتمثل به من شعره قوله
إذا لم تكن طرق الهوى لي ذليلةً تنكبتها وانحزت من جانب السهل
علي بن جبلة بن عبد الرحمن الأنباري، وهو الملقب العكوك قال
وأرى الليالي ما طوت من شرتي ردته في عظتي وفي إفهامي
وعلمت أن المرء من سنن الردى حيث الرمية من سهام الرامي
وقال أيضا:
وخافت على التطواف قومي وإنما تصاب غرار الوحش وهي رتوع
اللجلاج الحارثي
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرحل
وقال أيضا:
إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه
عبد الصمد بن المعذل
ليس لي عذرٌ وعندي بلغةٌ إنما العذر لمن لا يستطيع
وقال أيضا:
وأعلم أن بنات الرجاء تحل العزيز محل الذليل
وأن ليس مستغنيا بالكثي ر من ليس مستغنيا بالقليل
وقال أيضا:
أرى الناس أحدوثةً فكونوا حديثاً حسن
كان لم يكن ما أتى وما قد مضى لم يكن
إذا وطنٌ رابني فكل بلادٍ وطن

إذا عز يوماً أخو ك في بعض أمر فهن
الحمدوني
إن المقدم في حذقٍ بصنعته أنى توجه فيها فهو محروم
العتبي
قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر
وقال أيضا:
وحسبك من حادث بامرىء يرى حاسديه له راحمينا
أبو سعيد المخزومي: واسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد لا
سعيد.
فمما يتمثل به في شعره قوله
وكم رأينا للدهر من أسدٍ بالت على راسه ثعالبه
وقال أيضا:
إذا ضن الجواد بما لديه فما فضل الجواد على البخيل
وقال أيضا:
ليس لبس الطيالس من لباس الفوارس
لا ولا حومة الوغى كصدور المجالس
وظهور الجياد غي ر ظهور الطنافس
ليس من مارس الخطو ب كمن لم يمارس
دعبل بن علي الخزاعي: هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل لقبٌ غلب عليه، والدعبل:
البعير المسن، وقيل: الناقة التي معها أولادها.
فمما يتمثل بن من شعره قوله
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
وقال أيضا:
هي النفس ما حسنته فمحسن إليها وما قبحته فمقبح
وقال أيضا:
جئنا به يشفع في حاجةٍ فاحتاج في الإذن إلى شافع
وقال أيضا:
تلك المساعي إذا ما أخرت رجلا أحب للناس عيباً كالذي عابه
كذاك من كان هدم المجد عادته فإنه لبناء المجد عيابه
إسحاق بن إبراهيم الموصلي
وكل مسافرٍ يزداد شوقاً إذا دنت الديار من الديار
المؤمل بن أميل
إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
لا تحسبوني غنياً عن مودتكم إني إليكم وإن أيسرت مفتقر
إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق، وأصله من
خراسان.
فمما يتمثل به من شعره قوله
ورب أخٍ ناديته لملمة فألفيته منها أجل وأعظما
وقال أيضا:

وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا
وقال أيضا:
دنت بأناس عن تناءٍ زيارةٌ وشط بليلى عن دنو مزارها
وإن مقيماتٍ بمنقطع اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها
أبو علي البصير: وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول
فلا تعتذر بالشغل عنا فإنما تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
وقال أيضا:
لعمر أبيك ما نسب المعلى إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم
سعيد بن حمير يقول
إن جهد المقل غير قليل وعلى المريب شواهدٌ لا تدفع
وقال أيضا:
وإنك كالدنيا تذم صروفها ونوسعها سبا ونحن عبيدها
علي بن الجهم يقول
ولكل حال معقبٌ ولربما أجلى لك المكروه عما تحمد
وقال أيضا:
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمةٌ ولكن عارا أن يزول التجمل
وقال أيضا:
ارض للسائل الخضوع وللقا رف ذنباً مذلة الأعذار
ابن أبي فنن: هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول
أرى الدهر يخلقني كلما لبست من الدهر ثوباً جديدا
وقال أيضا:
سر من عاش ماله فإذا حا سبه الله سره الإعدام
وقال أيضا:
رب أمرٍ سر أخره بعد ما ساءت أوائله
يزيد بن محمد المهلبي يقول
لا عار إن ضامك دهرٌ أو ملك
وقال
وإن الناس جمعهم كثيرٌ ولكن من تسر به قليل
وقال أيضا:
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
عمارة بن عقي بن بلال بن جرير يقول
فإن تلحظى حالي وحالك مرةً بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
ترى كل يوم مر من بؤس عيشتي عليك بيومٍ من نعيمك يحسب
أحمد بن أبي طاهر يقول

ودين الفتى بين التماسك والنهي ودنيا الفتى بين الهوى والتغرر
وقال أيضا:
حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ من نفسه ليس حسنه حسبه
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول:
ما الحب إلا للحبيب الأول لسان المرء من جذم الفؤاد
وذي النقص في الدنيا بذي الفضل مولع
وقال
ما أب من أب لم يظفر بحاجته ولم يعب طالبٌ للنجح لم يجب
وقال أيضا:
ومن لم يسلم للنوائب أصبحت خلائقه طراً عليه نوائبا
وقال أيضا:
لأمرٍ عليهم أن يتم صدوره وليس عليه أن تتم عواقبه
وقال أيضا:
لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حربٌ للمكان العالي
وقال أيضا:
وإذا تأملت البلاد رأيتها تثري كما تثري الرجال وتعدم
وقال أيضا:
وإذا أمرؤ أهدى إليك صنيعةً من جاهه فكأنها من ماله
وقال أيضا:
خلقنا رجالا للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكا والمآتم
وقال أيضا:
ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجى هلكن إذاً من جهلهن البهائم
وقال أيضا:
أألفة النحيب كم افتراق أطل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الأوبات إلا لموقوفٍ على ترح الوداع
وقال أيضا:
وإذا أراد الله نشر فضيلة يوما أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
وقال أيضا:
خشعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عار
وقال أيضا:
ذاك الذي قرحت بطون جفونه مرهاً وتربة أرضه من إثمد
وقال أيضا:
وتركي ساعة الصدر اعتباطاً يدل على موافقة الورود
وقال أيضا:

ولم أر كالمعروف تدعي حقوقه مغارم في الأقوام وهي مغانم
وقال أيضا:
وإن أمرءاً ضنت يداه على أمريء بنيل يدٍ من غيره لبخيل
أبو عبادة البحتري، وهو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملان بن جابر ابن
مسلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدي بن نزول بن بحتر الطائي.
فمما يتمثل به من شعره قوله
وأبرح مما حل ما يتوقع
وقال أيضا:
وليس تقترن النعماء والحسد
وقال أيضا:
إن المعنى طالبٌ لا يظفر
وقال أيضا:
أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر
وقال أيضا:
يزين اللآلى في النظام ازدواجها
وقال
وكان رجائي أن أؤوب مملكا فصار رجائي أن أؤوب مسلما
وقال أيضا:
متى أحرجت ذا كرم تخطى إليك ببعض أخلاق اللئيم
وقال أيضا:
والشيء تمنعه يكون بفوته أجدي من الشيء الذي تعطاه
وقال أيضا:
تناس ذنوب قومك إن حفظ ال ذنوب إذا قدمن من الذنوب
وقال أيضا:
وإذا ما خفيت كنت حرياً أن أرى غير مصبح حيث أمسى
وقال أيضا:
متى أردت الدنيا نباهة خاملٍ فلا تنظر إلا خمول نبيه
وقال أيضا:
وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب
وقال أيضا:
وإذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع
وقال أيضا:
ولم أر أمثال الرجال تفاوتت إلى المجد حتى عد ألفٌ بواحد
وقال أيضا:
ليس الذي يعطيك تالد ماله مثل الذي يعطيك مال الناس
وتفاضل الأخلاق إن حصلتها في الناس حيث تفاضل الأجناس
وقال أيضا:
لا ييأس المرء أن ينجيه ما يحسب الناس أنه عطبه

يسرك الشيء قد يسوء وكم نوه يوما بخامل لقبه
وقال أيضا:
إذا محاسني اللاتي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر
وقال أيضا:
وعطاء غيرك إن بذل ت عنايةً فيه عطاؤك
ديك الجن، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله ابن
رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول
وشافي النصح يعدل بالأشافي وليس القدر إلا بالأثافي
وقال
إذا شجر المودة لم تجده بغيث البر أسرع في الجفاف
وقال أيضا:
يرقد الناس آمنين وريب ال دهر يرعاهم بمقلة لص
ابن الرومي يقول
وكم داخلٍ بين الحميمين مصلح كما انغل بين العين والجفن مرود
وقال أيضا:
هو بازٍ صائد أرسلته فارجعوه سالماً إن لم يصد
وقال أيضاً:
وما الحمد إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
إذا الأرض ردت ريع ما أنت زارعٌ من البذر فهي الأرض ناهيك من أرض
وقال أيضا:
وإذا أتاك من الأمور مقدرٌ ففررت منه فنحوه لتوجه
وقال أيضا:
كيف ترضى الفقر عرسا لامريءٍ وهو لا يرضى لك الدنيا أمه
وقال أيضا:
عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
عبد الله بن المعتز يقول
فإن العيون وجوه القلوب
وقال أيضا:
أم الكرام قليلة الأولاد
وقال أيضا:
أبطأ فيض الدلاء أملؤها
وقال أيضا:
اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إذ لم تجد ما تاكله
وقال أيضا:
ولا هم إلا سوف يفتح قفله ولا حال إلا للفتى بعدها حال
وقال أيضا:

لا تأمنوا من بعد خيرٍ شرا كم غصنٍ أخضر عاد جمرا
وقال أيضا:
وإني على إشفاق عيني من البكا لتجمح مني نظرة ثم أطرق
كما حلئت عن ماء برد طريدةٌ تمد إليه جيدها وهي تفرق
وقال أيضا وإشارته إلى الديك
صفق إما ارتياحةً لسنا ال فجر وإما على الدجى أسفا
عبيد بن عبد الله بن طاهر
ألم تر أن المرء تدوي يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره
فكيف تراه بعد يمناه صانعا لمن ليس منه حين تدوي سرائره
وقال أيضا:
ألا قبح الله الضرورة إنها تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق
وقال أيضا:
وكم قائل قد قال مالك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس
وقال أيضا:
ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا
ابن طباطبا العلوي: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصبهاني يقول
إن في نيل المنى وشك الردى وقياس القصد عند السرف
كسراج دهنه قوتٌ له فإذا غرقته فيه طفى
وقال أيضا:
لقد قال أبو بكرٍ صوابا بعد ما أنصت
خرجنا لم نصد شيئا وما كان لنا أفلت
وقال أيضا:
يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً ورد من الصبا أياما
منصور الفقيه المقريء يقول
يا من يخاف أن يكو ن ما أخاف سرمدا
أما سمعت قولهم إن مع اليوم غدا
وقال أيضا:
الملح يصلح كل ما يخشى عليه من الفساد
فإذا الفساد جرى علي ه فحكمه حكم الرماد
وقال أيضا:
كل مذكور من الناس إذا ما فقدوه صار في حكم الرماد
وقال أيضا:
كل مذكورٍ من الن اس إذا ما فقدوه
صار في حكم حديث حفظوه ونسوه
وقال أيضا:
كل من أصبح في ده رك ممن قد تراه
هو من خلفك مقرا ض وفي الوجه مراه
ابن بسام: هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبا الحسن يقول

وكم أمنية جلبت منيه
وقال
ولولا الضرورة ما جئتكم وعند الضرورة يؤتى الكنيف
وقال أيضاً:
قل لأبي القاسم المرجي قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابنٌ وكان زينا وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كموت هذا فلست تخلو من المصائب
وقال أيضا:
رب يوم بكيت منه فلما جزت في غيره بكيت عليه
وقال أيضا:
قد يحمل الشيخ الكبي ر جنازة الطفل الصغير
جحظة: هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك النديم
يقول:
وللمساكين أيضا بالندى ولعٌ
وقال أيضا:
وآفة التبر ضعف منتقده
وقال أيضا:
متى يلتقي الميت والغاسل؟
وقال أيضا:
لا تعدن للزمان صديقا وأعد الزمان للأصدقاء
وقال أيضا:
وما كذب الذي قد قال قبلي إذا ما مر يوم مر بعضي
وقال أيضا:
إذا الشهر حل ولا رزق لي فعدي لأيامه باطل
وقال أيضا:
وإذا جفاني جاهلٌ لم أستخر ما عشت قطعه
وجعلته مثل القبو ر أزوره في كل جمعه
الصنوبري يقول
محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى كالنار مخبرةٌ بفضل العنبر
وقال أيضا:
رب حال كأنها مذهب الدي باج صارت من رقةٍ كاللاذ
وزمانٍ مثل ابنة الكرم حسنا عاد عند العيون مثل الداذي
أو ما من فساد رأى الليالي أن شعري هذا وحالي هذي
أبو الفتح كشاجم: هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، وشاهك أمه يقول
يعاد حديثه فيزيد حسنا وقد يستقبح الشيء المعاد
وقال أيضا:
شخص الأنام إلى جمالكفاستعذ من شر أعينهم بعيبٍ واحد
ومما يتمثل به من أشعار المولدين: منهم
أبو فراس الحمداني

غنى النفس لمن يعق ل خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنف س ليس الفضل في الحال
وقال أيضا:
ونحن أناسٌ لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر
وقال أيضا:
وندعو كريما من يجود بماله ومن يبذل النفس النفيسة أكرم
وقال أيضا:
وجميل العدو غير جميلٍ وقبيح الصديق غير قبيح
أبو الطيب المتنبي يقول
مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد
وقال أيضا:
إن المعارف في أهل النهي ذمم
وقال أيضا:
وخير جليسٍ في الزمان كتاب
وقال أيضا:
وتأبى الطباع على الناقل
وقال أيضا:
ومنفعة الغوث قبل العطب
وقال أيضا:
ومن فرح النفس ما يقتل
وقال أيضا:
إذا عظم المطلوب قل المساعد
وقال أيضا:
أنا الغريق فما خوفي من البلل
وقال أيضا:
فإن الرفق بالجاني عتاب
وقال أيضا:
بغيضٌ إلي الجاهل المتعاقل
وقال أيضا:
وكل امريء يولي الجميل محببٌ وكل مكان ينبت العز طيب
وقال أيضا:
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وقال أيضا:
والأمر لله رب مجتهدٍ ما خاب إلا لأنه جاهد
وقال أيضا:
وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
وقال أيضا:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد
وقال
وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
وقال أيضا:
وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللاتي سررن ألوف
وقال أيضا:
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل
وقال أيضا:
وما الحسن في وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن في فعله والخلائق
وقال أيضا:
وما يوجع الحرمان من كف حارمٍ كما يوجع الحرمان من كف رازق
وقال أيضا:
إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناٌ وإجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال
وقال أيضا:
وقيدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا
وقال أيضا:
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
السري بن أحمد بن السري الموصلي يقول
إذا العبء الثقيل توزعته أكف القوم هان على الرقاب
وقال أيضا:
فإنك كلما استودعت سراً أنم من النسيم على الرياض
وقال أيضا:
إلى كم أحبر فيك المديح ويلقي سواي لديك الحبورا
أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي يقول
إن خانك الدهر فكن عائذا بالبيد والظلماء والعيس
ولا تكن عبد المنى فالمنى رءوس أموال المفاليس
وقال أيضا:
وأخٍ رخصت عليه حتى ملني والشيء مملول إذا ما يرخص
ما في زمانك ما يعز وجوده إن رمته إلا صديق مخلص
أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي أخوه يقول:
يا هذه إن رحت في خلق فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خرقق وقار
وقال أيضا:
صغيرٌ صرفت إليه الهوى وما خاتمٌ في سوى خنصر
الخباز البلدي: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة إلى بلد وهي من بلاد الجزيرة
التي منها الموصل يقول:

إذا استثقلت أو أبغضت خلقا وسرك بعده حتى التناد
فشرده بقرض دريهمات فإن القرض داعية الفساد
أبو إسحاق الصابيء يقول:
نعم الله كالوحوش وما تأ لف إلا الأخاير النساكا
نفرتها آثام قوم وصارت لأولى البر والتقى أشراكا
وقال أيضا:
ومن الظلم أن يكون الرضى س را ويبدو الإنكار وسط التادي
وقال أيضا:
الضب والنون قد يرجى التقاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب
عبد العزيز عمر بن نباته يقول
فلا تحقرن عدوا رماك وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الإبر
وقال أيضا:
مثلٌ خلعت على الزمان رداءه عوز الدراهم آفة الأجواد
وقال أيضا:
يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان
وقال أيضا:
ونبت بنا أرض العرا ق فما مجناها بمجنه
غير الرحيل كفى البلا د برحلة العجفاء هجنه
ابن لنكك البصري: هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول:
وماذا أرجى من حياةٍ تكدرت ولو قد صفت كانت كأضغاث أحلام
وقال أيضا:
عدنا في زماننا عن حديث المكارم
من كفى الناس شره فهو في جود حاتم
وقال أيضا:
جار الزمان علينا في تصرفه وأي دهر على الأحرار لم يجر
عندي من الدهر مالو أن أيسره يلقى على الفلك الدوار لم يدر
أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول
تبسطنا على الأيام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب
وقال أيضا:
والمرء ما شغلته فرصة لذة ناسي الحوادث آمن الحدثان
وقال:
وكان رقادي بين كأسٍ وروضة فصار سهادي بين طرفٍ وصارم
وقال أيضا:
ركوب الهول أركبك المذاكي ولبس الدرع ألبسك الغلائل
أبو الفرج الببغا يقول
ما الذل إلا تحمل المنن فكن عزيزاً إن شئت أو فهن

وقال أيضا:
ومن طلب الأعداء بالمال والظبى وبالسعد لم يبعد عليه مرام
وقال أيضا:
ولم أر مذ عرفت محل نفسي بلوغ مني تساوي حمل من
وقال أيضا:
أكل وميض بارقة كذوب أما في الدهر شيءٌ لا يريب
ابن سكرة الهاشمي: هو محمد بن عبد الله يقول
وعلة الحال تنسي علة الجسد
وقال أيضاً:
وقد ينبت الشوك بين الأقاحي
وقال أيضا:
الموت أنصف حين عدل قسمة بين الخليقة والفقير البائس
ابن الحجاج: هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول:
ورب كلام تستثار به الحرب
وقول أيضا:
خود تزف إلى ضريرٍ مقعد
وقول أيضا:
واللوزة المرة يا سادتي يفسد في الطعم بها السكر
وقول أيضا:
ما زلت أسمع كم من واقفٍ خجلٍ حتى ابتليت فكنت الواقف الخجلا
وقول أيضا:
وبي مرضان مختلفان حال ال عليلة منهما يمنى بحالي
إذا عالجت هذا جف كبدي وإن عالجت ذاك ربي طحالي
أبو الحسن الموسوي النقيب: هو محمد بن الحسين بن موسى يقول
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظرٍ كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
وقال أيضا:
والحر من حذر الهوا ن يزاول الأمر الجسيما
وهو العظيم وغير بد عٍ منه إن ركب العظيما
وقول أيضا:
ما السؤدد المطلوب إلا دون ما يومي إليه السؤدد المولود
فإذا هما اتفقا تكسرت القنا إن غالباً وتضعضع الجلمود
وقول أيضا:
اشتر العز بما بيع فما العز بغالي
بالقصار البيض إن شئ ت أو السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا مشتر عزا بمال
إنما يدخر المال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأق وال أثمان المعالي

أبو طالب المأموني يقول
لي في ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ لا بد أن تستله الأقدار
وقول أيضا:
وما شرف الإنسان إلا بنفسه أكان ذووه سادة أم مواليا
وقال
إذا الغيث وفي الروض واجب حقه وزاد فإن الغيث للروض ظالم
ابن العميد: هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، عرف بابن العميد،
كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفي ابن العميد بالري في محرم سنة ستين وثلثمائة يقول
لن يصرف الدهر من سجيته أرب أريب وحول ذي حيل
أي معين صفا على كدر ال دهر وأي النعيم لم يزل
وقول أيضا:
من يشف من ذا بآخر مثله أثرت جوانحه من الأدواء
داوي جوي بجوي وليس بحازم من يستكف النار بالحلفاء
الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد. توفي في صفر سنة خمس وثمانين
وثلثمائة وعمره خمس وستون وسمي بالصاحب لصحبة ابن العميد يقول
بقدر الهموم تكون الهمم كم صارمٍ جرب في خنزير
وقول أيضا:
لقد صدقوا والراقصات إلى منى بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو أنني داريت دهري حية إذا استمكنت يوما من اللسع تلسع
الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي يقول
القلب يدرك ما لا يدرك البصر يتملك الأحرار بالإيناس
وقال أيضا:
وما أعجبتي قط دعوى عريضةٌ ولو قام في تصديقها ألف شاهد
وقول أيضا:
يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وقول أيضا:
وقالوا اضطرب في الأرض فالرزق واسع فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حر يعينني ولم يك لي كسبٌ فمن أين أرزق
أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي يقول
ومن عجب الأيام ترك التعجب

وقول أيضا:
لكل صناعة يوما مديل
وقول أيضا:
وإذا مدة الشقي تناهت جاءه من شقائه متقاضي
وقول أيضا:
عليك بإظهار التجلد للعدا ولا تظهرن منها الدنو فتحقرا
بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد توفي سنة ثمان
وتسعين وثلثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول:
يا حريصا على الغنى قاعداً بالمراصد
لست في سعيك الذي خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه لست فيها بخالد
بعض هذا فإنما أنت ساعٍ لقاعد
إسماعيل الناشيء يقول
وللشباب نراعي حرمة الكتم
وقول أيضا:
وكنت أرى أن التجارب عدة فخانت ثقات الناس حتى التجارب
وقال أيضا:
فركضا في ميادين التصابي أحق الخيل بالركض المعار
وقول أيضا:
ولا تجزعن على أيكة أبت أن تظلك أغصانها
أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول
إذا مر بي يوما ولم أتخذ يداً ولم أستفد علما فما ذاك من عمري
وقول أيضا:
أنا كالورد فيه راحة قومٍ ثم في لآخرين زكام
وقول أيضا:
لا ترج شيئاً خالصا نفعه فالغيث لا يخلو من العيث
وقول أيضا:
ولم أر مثل الشكر جنة غارسٍ ولا مثل حسن الصبر جنة لابس
وقول أيضا:
ولن يشرب السم الزعاف أخو الحجي مدلاً بدرياقٍ لديه مجرب
وقول أيضا:
ما استقامت قناة رأيي إلا بعد أن عوج المشيب قناتي
وقول أيضا:
وطول جمام الماء في مستقرة يغيره لونا وريحا ومطعما
وقول أيضا:
إذا حيوانٌ كان طعمة ضده توقاه كالفأر الذي يتقي الهرا
ولا شك أن المرء طعمة دهره فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

وقول أيضا:
لا تحقر المرء إن رأيت به دمامةً أو رثاثة الحلل
فالنحل لا شك في ضؤولته يشتار منه الفتى خير العسل
الباب الثاني
أوابد العرب
ومعنى الأوابد ها هنا: الدواهي، وهي مما حمى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها،
وحذر المؤمنين عنه. فقال تعالى "يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه" وقال تعالى "ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا
وصيلةٍ ولا حامٍ" وقال تعالى "إنما النسيء زيادةٌ في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً
ويحرمونه عاماً" وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة
ودليلا وتفاؤلا وطيرةً. فمنها:
البحيرة:
قالوا: كان أهل الوبر يعطون لآلهتهم من اللحم، وأهل المدر يعطون لها من الحرث، فكانت
الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا إلى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذنها، فتلك:
البخيرة، فربما اجتمع منها هجمةٌ من البحر فلا يجز لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت اسم
الله، ولا إن حمل عليها شيء، فكانت ألبانها للرجال دون النساء.
الوصيلة:
كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان ذكرا ذبح، وإن كانت
أنثى تركت في الشاء، فإن كان ذكرا وأنثى قيل: وصلت أخاها، فحرما جميعا، وكانت
منافعها، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء.
السائبة:
كان الرجل يسيب الشيء من ماله، إما بهيمةً أو إنسانا، فتكون حراما أبدا، منافعها
للرجال دون النساء.
الحامي:
كان الفحل إذا أدركت أولاده فصار ولده جداً قالوا: حمى ظهره، اتركوه فلا يحمل عليه،
ولا يركب، ولا يمنع ماء، ولا مرعى، فإذا ماتت هذه التي جعلوها لآلهتم، اشترك في أكلها
الرجال والنساء، وذلك قوله تعالى "وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصةً لذكورنا ومحرمٌ

على أزواجنا وإن يكن ميتةً فهم فيه شركاء" قالوا: وكان أهل المدر والحرث إذا حرثوا
حرثا، أو غرسوا غرسا، خطوا في وسطه خطا، فقسموه بين اثنين فقالوا: ما دون هذا
الخط: لآلهتم، وما وراءه: لله، فإن سقط مما جعلوه لآلهتهم شيء فيما جعلوه لله ردوه، وإن
سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه لآلهتهم أقروه، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلهتم، فانفتح في
الذي سموه لله سدوه، وإن انفتح من ذاك في هذا قالوا: اتركوه فإنه فقير إليه، فأنزل الله عز
وجل "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون."
الأزلام:
قالوا: كانوا إذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصح لهم
أخذوا قداحا لهم فيها: أفعل ولا أفعل لا يفعل، ثم لا خير، شرٌ بطيءٌ سريع، فأما المداراة
فإن قداحا لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يجيلونها فمن خرج سهمه فالحق له،
وللحضر والسفر سهمان، فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن: اللهم أيهما كان
خيرا فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرج له، فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح
وفيها: صريحٌ، وملصقٌ، فإن خرج الصريح ألحقوه بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان
صريحا فهذه قداح الاستقسام.
الميسر:
قالوا في الميسر: إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم، فيفصلونها على عشرة
أجزاء، ثم يؤتي بالحرضة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحما قط بثمن، ويؤتى بالقداح وهو
أحد عشر قدحا، سبعة منها لها حظ إن فازت، وعلى أهلها غرم إن خابت، بقدر مالها
من الحظ إن فازت، وأربعة ينقل بها القداح، لاحظ لها إن فازت، ولا غرم عليها إن
خابت.
فأما التي لها الحظ: فأولها الفذ في صدره حز واحد، فإن خرج أخذ نصيبا، وإن خاب
غرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم، له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبي إن خاب، ثم

الضريب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحلس وله أربعة، ثم النافس، وله خمسة، ثم المسبل، وله
ستة، ثم المعلى وله سبعة. قالوا: والمسبل يسمى: المصفح، والضريب يقال له: الرقيب.
وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال:

إن القداح أمرها عجيب الفذ والتوأم والرقيب
والحلس ثم النافس المصيب والمصفح المشتهر النجيب
ثم المعلى حظه الترغيب هاك فقد جاء بها الترتيب

وأما الأربعة التي ينقل بها القداح فهي: السفيح، والمنيح، والمضعف، والوغد.
قال ابن قتيبة: والمنيح له موضعان: أحدهما لاحظ له، والثاني له حظ، فكأنه الذي يمنح
حظه، وعلى ذلك دل قول عمرو بن قبيصة:

بأيديهم مقرومةٌ ومغالقٌ يعود بأرزاق العيال منيحها

قالوا: فيؤتى بالقداح كلها وقد عرف لك ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار إلا سبعة،
لا يكونون أكثر من ذلك، فإن نقصوا رجلا أو رجلين، فأحب الباقون أن يأخذوا ما فضل
من القداح، فيأخذ الرجل القدح والقدحين فيأخذ فوزهما إن فازا، ويغرم عنهما إن خابا
ويدعي ذلك: التميم قال النابغة:

إني أتمم أيساري وأمنحهم من الأيادي وأكسوا الجفنة الأدما

فيعمدوا إلى القداح، فتشد مجموعة في قطعة جلدٍ ثم يعمد إلى الحرضة فيلف على يده
اليمنى ثوبا لئلا يجد مس قدحٍ له في صاحبه هوى، فيحابيه في إخراجه، ثم يؤتي بثوب
أبيض يدعى. المجول، فيبسط بين يدي الحرضة، ثم يقوم على رأسه رجل يدعي: الرقيب،
ويدفع ربابة القداح إلى الحرضة وهو محول الوجه عنها، والربابة: ما يجمع فيها القداح،
فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب، فينكر القداح بشماله، فإذا نهد منها قدح تناوله
فدفعه إلى الرقيب. فإن كان مما لاحظ له رد إلى الربابة، فإن خرج بعده المسبل، أخذ
الثلاثة الباقية، وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى، وعلى هذه الحال يفعل بمن
فاز ومن خاب، فربما نحروا عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا، وإنما الغرم على
الذين خابوا ولا يحل للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قدح الرجل فأرادوا أن

يعيدوا قدحه ثانية على خطار فعلوا ذلك به.
ومنها: نكاح المقت: كان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث
نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاح
النساء كما يرثون المال، فأنزل الله تعالى "يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً
ولا تعضلوهن".
ومنها: رمى البعرة: كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها، دخلت حفشاً،
والحفش: الخص، ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا، حتى تمر لها سنةٌ ثم تؤتي
بدابةٍ: حمارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتض به أي تمسح به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج
على رأس الحول، فتعطى بعرة فترمي بها، ثم تراجع ما شاءت من طيب أو غيره ومعنى
رميها بالبعرة: أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية، فنسخ الإسلام ذلك
بقوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً".
ومنها: ذبح العتائر: قالوا: كان الرجل منهم يأخذ الشاة، وتسمى العتير والمعتورة فيذبحها
ويصب دمها على رأس الصنم، وذلك يفعلونه في رجب، والعتر قيل: هو مثل الذبح، وقيل:
هو الصنم الذي يعتر له. قال الطرماح
فجر صريعاً مثل عاترة النسك
أراد بالعاترة: الشاة المعتورة.
عقد السلع والعشر: وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب.
ذبح الظبي: كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا، فإذا بلغت
ضن بها، وعمد إلى الظباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر، قال الشاعر
عنتاً باطلاً وزوراً كما يع تر عن حجرة الربيض الظباء
ومنها:" حبس البلايا: كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره، ويعكسون رأسها إلى
ذنبها، ويغطون رأسها بوليةٍ وهي البردعة، فإن أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعًى، ويزعمون
أنهم إنما يفعلون ذلك، ليركبها صاحبها في المعاد، ليحشر عليها، فلا يحتاج أن يمشي، قال
أبو زبيد:
كالبلايا رءوسها في الولايا مانحات السموم حر الخدود

ومنها: خروج الهامة: زعموا أن الإنسان إذا قتل، ولم يطالب بثأره، خرج من رأسه طائرٌ
يسمى: الهامة، وصاح على قبره: اسقوني! اسقوني! إلى أن يطلب بثأره، قال ذو الإصبع
يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة: اسقوني
ومنها: إغلاق الظهر: كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة، عمد إلى البعير الذي أمات به،
فأغلق ظهره لئلا يركب، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره، وإغلاق ظهره أن ينزع سناسن فقرته
ويعقر سنامه.
ومنها: التعمية والتفقئة: وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ عين الفحل يقول: إن ذلك يدفع
عنها العين والغارة، قال الشاعر:
وهبتها وأنت ذو امتنان تفقأ فيها أعين البعران
فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعمية.
ومنها: بكاء المقتول: كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يدرك بثأره، وإذا أدرك بثأره
بكينه، قال الشاعر:
من كان مسرورا بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يبدبنه يلطمن حر الوجه بالأسحار
ومنها: رمى السن في الشمس: يقولون: إن الغلام إذا ثغر، فرمى سنه في عين الشمس
بسبابته وإبهامه وقال: أبدليني أحسن منها، أمن على أسنانه العوج، والفلج، والثعل، قال
طرفة
بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الأشر
ومنها: خضاب النحر: كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحدٌ منها، خضبوا
صدره بدم الصيد علامة له، قال الشاعر:
كأن دماء العاديات بنحره عصارة حناءٍ بشيبٍ مرجل
ومنها: التصفيق: كانوا إذا ضل الرجل منهم في الفلاة، قلب ثيابه، وحبس ناقته، وصاح في
أذنها كأنه يوميء إلى إنسان، وصفق بيديه: الوحا الوحا، النجا النجا، هيكل، الساعة
الساعة، إلي إلي، عجل، ثم يحرك الناقة فيهتدي، قال الشاعر:
وأذن بالتصفيق من ساء ظنه فلم يدر من أي اليدين جوابها
يعني: يسوء ظنه بنفسه إذا ضل.
ومنها: جز النواصي، كانوا إذا أسروا رجلا، ومنوا عليه فأطلقوه، جزوا ناصيته
ووضعوها في الكنانة، قال الحطئية:
قدنا سلول فسلوا من كنانتهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

يعني بالنبل: الرجال، وقالت الخنساء
جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومنها: كي السليم عن الجرب: زعموا أن الإبل إذا أصابها العر فأخذوا الصحيح وكووه
زال العر عن السقيم، قال النابغة:
وكلفتني ذنب امريء وتركته كذي العر يكوي غيره وهو راتع
ويقال: إنهم كانوا يفعلون ذلك، ويقولون: تؤمن معه العدوى.
ومنها: ضرب الثور: وزعموا أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب، قال
الأعشى:
وإني وما كلفتماني وربكم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا
لكالثور والجنى يركب ظهره وما ذنبه إن عافت الماء مشربا
وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما إن تعاف الماء إلا ليضربا
وقال آخر:
كذاك الثور يضرب الهواري إذا ما عافت البقر الظماء
ومنها: كعب الأرنب: كانوا يعلقونه على أنفسهم ويقولون: إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا
سحر، وذلك أن الجن تهرب من الأرنب، لأنها ليست من مطايا الجن لأنها تحيض، قال
الشاعر:
ولا ينفع التعشير إن حم واقع ولا زعزعٌ يغني ولا كعب أرنب
وقيل لزيد بن كثوة: أحقٌ ما يقولون: إن من علق على نفسه كعب أرنب لم يقر به جنان
الحي وعمار الدار؟ فقال: أي والله! ولا شيطان الحماطة،
الحماطة: شجرة التين، وجان
العشرة، وغول العقر، وكل الخوافي، إي والله يطفىء نيران السعالى.
ومنها: حيض السمرة: يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة، فعلق عليه سن
ثعلب، أو سن هرة، أو حيض سمرة، أمن، فإن الجنية إذا أرادته لم تقدر عليه، فإذا قال لها
صواحباتها في ذلك، قالت:
كانت عليه نفره ثعالبٌ وهرره
والحيض حيض السمره
ومنها الطارف والمطروف: يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه، فهاجت فمسح
الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كل مرة: بإحدى جاءت من المدينة، باثنتي
جاءتا من المدينة، بثلاث جئن من المدينة، إلى سبع، سكن هيجانها.
ومنها: وطء المقاليت: يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا بقي أولادها، وفي

ذلك يقول بشر بن أبي خازم:
تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر
ومنها: تعليق الحلي على السليم: كانوا يعلقون الحلي على الملسوع ويقولون إنه إذا علق
عليه أفاق، فيلقون عليه الأسورة والرعاث، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم، قال
النابغة:
يسهد في وقت العشاء سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع
ومنها: ذهاب الخدر: يزعمون أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب
عنه، قال كثير:
إذا خدرت رجلي دعوتك أشتفي بذكراك من مذل بها فيهون
وقالت امرأة من كلاب:
إذا خدرت رجلي ذكرت ابن مصعب فإن قلت: عبد الله أجلي فتورها
وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال: يا محمداه.
ومنها: الحلأ: زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بثور، يأخذ منخلا على رأسه ويمر بين
بيوت الحي، وينادي: الحلأ الحلأ، فيلقي في منخله من ها هنا ثمرة، ومن ها هنا كسرة،
ومن ثم بضعة لحم، فإذا امتلأ، نثره بين الكلاب، فيذهب عنه البثر، وذلك البثر يسمى:
الحلأ.
ومنها: التعشير: يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية، فخاف وباءها، فوقف على بابها
قبل أن يدخلها فعشر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباؤها، قال عروة ابن الورد:
لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير إنني لجزوع
ومنها: عقد الرتم: كان الرجل منهم إذا أراد سفرا، عمد إلى رتم فعقده، والرتم: نبت، فإن
رجع ورآه معقودا، زعم أن امرأته لم تخنه، وإن رأه محلولا زعم أنها قد خانته، قال الشاعر:
هل ينفعنك اليوم إن همت بهم كثرة ما توصي وتعقاد الرتم
وقال آخر:
خانته لما رأت شيبا بمفرقه وغره حلفها والعقد للرتم
ومنها: دائرة المهقوع: وهو الفرس الذي به الدائرة التي تسمى: الهقعة، يزعمون أنه إذا عرق
تحت صاحبه، اغتلمت حليلته وطلبت الرجال، قال الشاعر
إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته وازداد حراً عجانها

ومنها: شق الرداء والبرقع: زعموا أن المرأة إذا أحبت رجلا أو أحبها ثم لم تشق عليه
رداءه، ويشق عليها برقعها، فسد حبهما، فإذا فعل ذلك دام حبهما، قال الشاعر:

إذا شق بردٌ شق بالبرد برقعٌ دواليك حتى كلنا غير لابس
فكم قد شققنا من رداءٍ محبرٍ ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها: نوء السماك: كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل، قال الشاعر:

ليت السماك ونوءه لم يخلقا ومشى الأفيرق في البلاد سلما

ومنها: النسيئ: وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب.
ومنها: وأد البنات: وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله: "ولا تقتلوا أولادكم خشية
إملاق نحن نرزقهم وإياكم". وكانوا يقتلوهن خشية الإملاق أو من الإملاق، وقد قيل: إنهم
كانوا يقتلوهن خوف العار أو أن يسبين، فمن قتلهم خشية الإملاق ما روي عن صعصعة
بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق: أنه لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول
الله، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية، أفينفعني ذلك اليوم؟ قال: وما عملك؟ قال:
أضللت ناقتين عشراوين، فركبت جملا ومضيت في بغائهما فرفع لي بيت جريد، فقصدته
فإذا رجل جالس بفنائه، فسألته عن الناقتين، فقال: ما نارهما؟ قلت: ميسم بني دارم، قال:
هما عندي، وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك من مضر، وإذا عجوز قد خرجت
من كسر البيت، فقال لها: ما وضعت؟ فإن كان سقبا شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلا
وأدناها، معنى قوله سقبا أي ذكرا، وحائلا أي أنثى فقالت العجوز: وضعت أنثى، فقلت:
أتبيعها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها؟ قال قلت: احتكم، قال بالناقتين والجمل، قلت:
لك ذلك، على أن تبلغني الحمل وإياها ففعل، فآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لي سنةٌ
على أن أشتري كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا
موءودة قد أنقذتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينفعك ذلك، لأنك لم تبتغ به
وجه الله تعالى، وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا تئب عليه، ففي ذلك يقول الفرزدق

مفتخرا
وجدي الذي منع الوائدين وأحيي الوئيد فلم توءد
وممن قتلهم خشية العار: قيس بن عاصم المنقري وكان من وجوه قومه ومن ذوي الأموال
فيهم وكان يئد بناته وسبب ذلك، أن النعمان بن المنذر لما منعته بنو تميم الإناوة التي كانت
تؤديها له جهز إليهم أخاه الريان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل فغزاهم، فاستاق النعم وسبى
الذراري، فوفدت إليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها، فقال النعمان:
ما كان ضر تميما لو تعمدها من فضلنا ما عليه قيس غيلان
فأناب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباها ردت إليه وإن اختارت
صاحبها تركت عليه، فكلهن اخترن أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم اختارت صاحبها
عمرو بن المشمرج، فنذر قيس لا يولد له ابنة إلا قتلها، فاعتل بهذا من وأد وزعم أنه
حمية.

الباب الثالث

أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفراسة والذكاء، كانت الكهنة العرب لهم أتباع من
الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيات
الأمور حتى جاء الإسلام، فمنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم
في كتابه العزيز "وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً"
فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي، فمن أخبار الكهنة، خبر سطيح
الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء
لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس
إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرفةً، وخمدت نار فارس، ولم تكن خمدت قبل ذلك
بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك

عن وزرائه ومرزبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم
كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازداد غماً وسأل الموبذان وكان أعلمهم فقال:
حادثٌ يكون من قبل العرب، فكتب كسرى إلى النعمان ابن المنذر: أن وجه إلي رجلاً
عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح بن حسان بن نفيلة الغساني فقال له
كسرى: أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه
علم، وإلا اخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رآه فقال: علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارق
الشام يقال له: سطيح، فأرسله كسرى إليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت فسلم
عليه وحياه فلم يحر سطيحٌ جوابا فأنشد يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاز فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن وكاشف الكربة عن وجه الغضن
أتاك شيخ الحي من آل سنن وأمه من آل ذئب بن حجن
أزرق ممهى الناب صرار الأذن أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسري بالوسن لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يجوب في الأرض على ذات شجن ترفعني وجناً وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن تلفه في الريح بوغاء الدمن
كأنما حثحث من حضني ثكن

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جملٍ مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى
على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان،
رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، يا عبد
المسيح إذا كثرت التلاوه، وبعث صاحب الهراوه، وفاض وادي السماوه، وغاصت بحيرة
ساوه، وخمدت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، ولا بابل للفرس مقاما، يملك فيهم
ملوك وملكات، بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح لوقته، فثار عبد
المسيح إلى رحله وهو يقول:

شمر فإنك ماضي العزم شمير لا يفزعنك تفريقٌ وتغيير

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوارٌ دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم أخو الصرح بهرام وإخوته والهرمزان وسابورٌ وشابور
والناس أولاد علاتٍ فمن علموا أن قد أقل فمحقورٌ ومهجور
وهم بنو الأم أما إن رأوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرنٍ فالخير متبع والشر محذور
فلما قص الخبر على كسرى قال: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمورٌ، فملك منهم
عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى زمن عثمان رضي الله عنه.
ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كريز بن ربيعة كانت قد تطرقت وتكهنت وهي خالة
عثمان بن عفان رضي الله عنه، روي عنه أنه قال: لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتني الحسرة أو كالحسرة أن لا
أكون سبقت إليها ثم لم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فألفيت خالتي فلما رأتني قالت:
أبشر وحييت ثلاثا تترى ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
ثم بأخرى كي تتم عشرا أتاك خير ووقيت شرا
نكحت والله حصانا زهرا وأنت بكرٌ ولقيت بكرا
وافيتها بنت نفيس قدرا بنت نبي قد أشاد ذكرا
قال عثمان: فعجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين فقالت:
عثمان يا ابن أخت يا عثمان لك الجمال ولك البيان
هذا نبي معه البرهان أرسله بحقه الديان
وجاءه التنزيل والفرقان فاتبعه لا تحتالك الأوثان
فقلت: يا خالة! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لي، فقالت: إن محمد بن
عبد الله رسولٌ من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله
صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، ذلت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع
الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم قامت فانصرفت ووقع كلامها في قلبي،
وجعلت أفكر فيه، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية، فكان يقال: أنهما أحسن زوجين
اتفاقا وجمالا.
ومنها أن هندا بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش،
وكان له بيت الضيافة، خارجا من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن، فجلا البيت ذات

يوم واضطجع هو وهند فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت
فولجه، فلما رآها ولى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال لها: من هذا
الذي خرج من عندك؟ قالت: ما رأيت أحدا، ولا انتبهت حتى أنبهتني! فقال لها: ارجعي
إلى أبيك، وتكلم الناس فيها، فقال لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني
نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست عليه من يقتله، فتنقطع عنك المقالة، وإن يك
كاذبا حاكمته إلى بعض الكهان، فقالت: لا والله! ما هو علي بصادق، فقال له: يا فاكه!
إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن، فخرج الفاكه في جماعة من
بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، ومعهم هند ونسوةٌ، فلما شارفوا
البلاد، وقالوا: غدا نرد على الرجل، تنكرت حال هند، فقال لها عتبة: إني أرى ما بك من
تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟
فقالت: لا والله! ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب ولا آمنه أن يسمني
ميسما يكون على سبةً فقال: إني سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في
إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم،
فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئا أختبرك به، فانظر ما هو؟
فقال ثمره: في كمره. قال إني أريد أبين من هذا، قال: حبة بر، في إحليل مهر، قال: انظر في
أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضي،
حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكا اسمه معاوية،
فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عني فوالله لأحرصن أن
يكون من غيرك، فتزوجها أبو سفيان.
ومنها أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إن
أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، ننحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضي

أمية وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخبأ له
خبيئاً فإن أصابه تحاكمنا إليه، وإن لم يصبه تحاكمنا إلى غيره، فوجدا أبا همهمة وكان
معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا ببابه وكان منزله بعسفان:
فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمه، وما بتهامة من
تهمه، وما بنجدٍ من أكمه، لقد خبأتم لي أطباق جمجمه، مع الفلندح أبي همهمه، فقالوا:
صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما
أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر. والكوكب الزاهر. والغمام الماطر، وما بالجو من
طائر، وما اهتدى بعلمٍ مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أولا مِنه
وآخر، فأخذ هاشم لإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر
سنين، فيقال: إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية.
ومنها: أن بني كلاب وبني رباب من بني نضر خاصموا عبد المطلب في مال قريبٍ من
الطائف فقال عبد المطلب: المال مالي فسلوني أعطكم، قالوا: لا، قال: فاختاروا حاكماً
قالوا: ربيعة بن حذار الأسدي فتراصوا به وعقلوا مائة ناقة في الوادي وقالوا: الإبل والمال
لمن حكم له، وخرجوا وخرج مع عبد المطل حرب بن أمية فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم
بجزائر فنحرها عبد المطلب، وأمر فصنع جزرا وأطعم من أناه، ونحر الكلابيون والنضريون
ووشقوا فقيل لربيعة فقال: إن عبد المطلب امرؤ من ولد خزيمة فمتى يملق يصله بنو عمه
وأرسل إليهم أن اخبأوا لي خبيئاً فقال عبد المطلب: قد خبأت كلبا اسمه سوار في عنقه
قلادة، في خرزة مزادة، وضممتها بعين جرادة، فقال الآخرون: قد رضينا ما خبأت
وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأ ثم خبيئا حياً قالوا: زد، قال: ذو برثن أغبر، وبطن أحمر،
وظهر أنمر، قالوا: قربت، قال: سما فسطع، ثم هبط فلطع، فترك الأرض بلقع، قالوا: قربت
فطبق قال: عين جرادة، في خرزة مزادة، في عنق سوار ذي القلادة، قالوا: زه زه أصبت

فاحكم لأشدنا طعانا، وأوسعنا مكانا، قال عبد المطلب: احكم لأولانا بالخيرات، وأبعدنا
عن السوآت وأكرمنا أمهات، فقال ربيعة: والغسق والشفق، والخلق المتفق، ما لبني كلاب
وبني رباب من حق، فانصرف يا عبد المطلب على الصواب، ولك فصل الخطاب، فوهب
عبد المطلب المال لحرب بن أمية.
وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملة تقف عليها في
المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل.
زجر الطير
قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير: إن العلماء بهذا الفن قالوا: إذا
خرجت من منزلك تطلب حاجةً، أو تخطب امرأةً، فنعب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك
أو سنح أو برح فامض فإنك مدرك حاجتك إن شاء الله تعالى فإن نعب أمامك أو فوقك
فارجع ففيها تأخير.
وإن خرجت تريد خصومةً فنعب فوق رأسك فامض فإنك مدركٌ حاجتك إن شاء الله
تعالى.
فإن خرجت تطلب دابةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع، فامض لحاجتك،
فإن نعب أمامك فارجع.
وإن خرجت تطلب مالاً ضل عنك أو سرق، فنعب غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه
فقد استهلك وقد يأتيك بعضه، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة خضراء فإنك
تصيب مالك إن شاء الله تعالى.
فإن خرجت تريد الضال فنعب من ورائك، فارجع فليس لك في ذلك خيرة، وإن نعب عن
يسارك فإني خاف على نفسك إلا أن شاء الله تعالى.
فإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنك تدرك
خيرا.
وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار ثم نعب
أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى.
وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا
خير فيه.

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح منقاره على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك
هدية من مكان بعيد.
وإن خرجت تطلب حاجةً فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب فإنك تدرك
حاجتك عجلا إن شاء الله تعالى! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني أخاف عليك بعض
أعدائك.
وإن خرجت تريد سلطانا فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإني
أخاف عليك.
فإن خرجت فرأيت غرابا ينفض ريشه، فإنه يأتيك خي عاجل.
وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غرابا ينتفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك أملك إن
شاء الله تعالى.
وإن خرجت تريد السلطان فوقع غرابٌ على شيء فنعب ثلاث مرات فامض لحاجتك،
فهو خيرٌ عاجل وتيسرٌ للحوائج إن شاء الله تعالى.
وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع يومك.
وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر فهو جيد
صالح.
وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شخ فامض، فإنك تلقى في يومك ذلك ما
تريد إن شاء الله تعالى.
وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريف فشخ غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكاً فإنهم
يصيبون خيرا إن شاء الله تعالى.
وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض في تلك
الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته.
وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلا، ثم يقع فيلقط
من الأرض شيئا فليمض فإنه يصيب سلطاناً ويلي قوما، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض
فإن بعض أهله يموت سريعا، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك.
وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غم يصيبه إلا
أن يدفع الله عز وجل عنه.

وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج، والعلم عند الله.
وإن خرج فرآى غرابا يطير ثم يقع فذاك خير وسرور يأتيه.
وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذاك هم يصيبه شديد.
وإن خرج فلقي بقرا فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا
بأس بها.
وإن خرج يغود مريضا فنهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح، وإن نهق خلفه
فقد اشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه.
وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطخ بعذرة وهو ذاهب والغلام راجع
فليمض فإن حاجته تقضي، وإن استقبله غلام يعدو ويتلهف فإن حاجته تعسر وتطول.
وإن خرج في حاجته فرأى ورشاناً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن
رآه يطير مستعليا فليرجع، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته
مقضية بعد بطء ومطل، وإن رأى حمامة هابطةً واقعةً تقع وتطير فإن ذلك خير صالح
وسرور إن شاء الله تعالى.
وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنها غير
مقضية، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مدبرة فليذهب لحاجته، فإن ذلك صالح، وإن رأى
نسوةً إلى المقابر وهن مقبلات نحوه فليقعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته وإن رآهن
مدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية.
وإن خرج من داره قرأى في أرضها نملاً كثيرا وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير
وسرور يناله. فإن رأى ذبابا كثيرا مجتمعا على حائط وهو يسمع لهن دبيبا فذاك مرض
يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله. ومن رأى ذراً كثيرا وقردانا فذلك فرح ورزق عاجل
يناله إن شاء الله تعالى. ومن رأى دجاجتين تقتتلان بنقر بعضهما فذاكيدل على أنه يقع
بينه وبين امرأته كلامٌ وغضب.
وإن خرج من منزله فرأى ورشانين يقتتلان في جو السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يسر
به. وإن رأى كلبة والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعض فإن ذلك عليه دين قضاء الله

عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئاً يسره الله له وإن أراد
سفرا تهيأ له ورجع سالما.
وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم انشقت فليرجع إلى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم
فإنه مكروه جداً.
وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربةً فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير
يناله عاجلا إن شاء الله تعالى.
وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه، وإن كان
صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض فحاجته مقضية إن شاء الله تعالى.
وإن خرج من منزله فرأى جملا عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح
في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن
ذلك خير يأتيه وينعي إليه بعض أهله من مكان بعيد. قال: وأرجو أن يدفع الله، فإن رآه
مناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح.
وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن
شاء الله تعالى.
وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفره بعدوه وانتقامه
منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره.
ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية.
وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه إلى أن يتقلب ظهرا لبطن
في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه.
وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأكرة ويتسابقون فليمض في وجهه ذلك فإنه
يصيب رفعةً وشرفاً وتمكنا من السلطان ويصيب مالاً عظيما.
وإن خرج فرآهم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدل على مال رديء حرام يصيبه من سلطان
ويركب أمراً عظيما من عمله فليتق الله.
وإن رأى جواري يلعبن بالطرق كأنهن يزففن عروسا فهو خير وسرور ودخول في أمرٍ
شريف وإنه يربح ربحا عظيما وهو خير الزجر.

وإن خرج فرأى عصفورين يلقطان الحب فهو صالح، وإن رآهما يتافسدان فهو خير يناله في
يومه، وإن رآهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى.
وإن خرج فتعلق بثوبه شيء فليرجع، فإني أكره له أن يذهب في حاجته تلك.
وإن خرج فرأى حدأىً تسفد حدأةً وهي تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته.
وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها.
ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة.
فمن ذلك ما حكي أن أمية بن أبي الصلت الثقفي بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر
عيلان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شرفة القصر فنعب نعبة فقال أمية: بفيك الكثكث
أي التراب فقال له أصحابه: ما يقول؟ قال يقول: إنك إذا شربت الكأس التي بيدك مت، ثم
نعب نعبة أخرى، فقال أمية كمقالته الأولى فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يزعم أنه يقع على
هذه المزبلة في أسفل القصر فيستثير عظما فيبتلعه به فيموت، فوقع الغراب على المزبلة
فأثار العظم وابتلعه فشجى فمات، فأنكر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال
أصحابه: ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلا وألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال
فأغمى عليه ثم أفاق فقال: لا بريء فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه.
وزعموا أن رجلا من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه فعطش
فأناخ ليشرب فإذا غراب ينعب فأثار راحلته، ثم سار فلما أظهر أناخ ليشرب، فنعب
الغراب وتمرغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود ضخمٌ فقتله، ثم سار
فإذا غراب واقع على سدرة فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على صخرة فانتهى
إليها فأثار كنزا، فلما رجع إلى أبيه قال له: إيه ما صنعت؟
قال: سرت صدر يومي، ثم أنخت لأشرب فنعب الغراب، قال أثرها وإلا فلست بابني!
قال: أثرتها، ثم أنخت لأشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب
قال: اضرب السقاء وإلا لست
بابني! قال: فعلت، فإذا أسود ضخم قال: ثم مه! قال: ثم رأيت غرابا على سدرة قال:

أطره وإلا فلست بابني! قال: فعلت فوقع على سلمة قال:
أطره وإلا فلست بابني! قال:
فعلت فوقع على صخرة قال: أحد يا بني! فأحداه.
ومن الزجر: ما يروى أن كسرى أبرويز بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث
زاجرا ومصورا وقال للزاجر: انظر ما ترى في طريقك وعنده،
وقال للمصور: إئتني بصورته،
فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم
فوضعها كسرى على وسادته،
وقال للزاجر: ما رأيت؟ فقال: لم أر ما أزجره حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك
وضعت صورته على وسادتك.
وقيل: إن كثيراً تعشق امرأة من خزاعة يقال لها: أم الحويرث،
فشبب بها فكرهت أن
يفضحها كما فضح عزة فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك
فابتغ مالاً، ثم تعالى فاخطبني
كما يخطب الكرام قال: فاحلفي لي ووثقي أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك فحلفت
ووثقت له فمدح عبد الرحمن بن الأزدي وخرج إليه، فلقي ظباءً سوانح، ولقي غراباً يفحص
التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لهب
فقال: أيكم يزجر؟ قالوا: فمن
تريد؟ قال: أعلمكم بذلك! قالوا: ذلك الشيخ المنحني الصلب،
فأتاه فقص عليه القصة
فكره ذلك له وقال: قد ماتت أو تزوجت رجلا من بني عمها
فقال كثير

تيممت لهبا أبتغي العلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى لهب
فيممت شيخا منهم ذا نحالة بصيراً بزجر الطير منحني الصلب
فقلت له: ماذا ترى في سوانح وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
فقال: جرى الطير السنيح ببينها ونادى غرابٌ بالفراق وبالسلب
فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها سؤال خليل باطنٍ من بني كعب

قال: ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيراً، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً
من بني عمها فأخذه الهلاس فكشح جنباه بالنار، فلما اندمل من علته ووضع يده على
ظهره فإذا هو برقمتين فقال: ما هذا؟ قالوا: أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك

إلا بالكشح بالنار فكشحت بها فأنشأ يقول:
عفى الله عن أم الحويرث ذنبها علام تعنيني وتكمي دوائيا
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم أم الحويرث دائيا
وحكى أن صاحب الروم بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له: انظر أين
تراه جالسا، ومن إلى جانبه، وانظر ما بين كنفيه حتى الخاتم والشامة، فقدم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم على نشزٍ واضعا قدميه في الماء، وعن يمينه علي عليه السلام، فلما
رآه صلى الله عليه وسلم قال: "تحول فانظر ما أمرت به" فنظر ثم رجع إلى صاحبه فأخبره
الخبر فقال: ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي وقال: بالنشز العلو وبالماء الحياة.
ومن الزجر: ما روي عن أبي ذؤيب الهذلي قال: إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفةً عليه فبت بليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب
ديجورها ولا يطلع نورها حتى إذا قرب السحر غفوت فهتف لي هاتف يقول:
خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام
قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت
به ذبحا يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميتٌ من
علته، فركبت ناقتي وسرت حتى أصبحت فطلبت شيئا أزجره، فعن لي شيهمٌ قد أرم
على صل وهو يتلوى عليه والشهيم يقضمه حتى أكله فزجرت ذلك شيئا مهما فقلت: تلوي
السل: انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أولت
أكل الشيهم إياه: غلبة القائم على الأمر فحثثت ناقتي حتى إذا كنت بالعلية زجرت الطير
فأخبرني بوفاته. ونعب غراب سانحا بمثل ذلك فتعوذت من شر ما عن لي في طريقي، ثم
قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعا بالإحرام فقلت: مه! قالوا
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت المسجد فأصبته خالياً فأتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقد خلا به أهله فقلت: أين الناس؟ فقيل: في

سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر، وعمر رضي الله
عنهما، وأبا عبيدة، وسالماً، وجماعةً من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم
شعراؤهم وأمامهم حسان بن ثابت، وكعب في ملإ منهم فأويت إلى الأنصار فتكلموا
فأكثروا وتكلم أبو بكر فلله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل، والله لتكلم
بكلام لم يسمعه سامعٌ إلا انقاد له ومال إليه، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
كلامه، ومد يده فبايعه، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه، فشهدت الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه قال: ولقد بايع الناس من أبي بكر رجلا
حل قداماها ولم يركب ذنابابها وانصرف أبو ذؤيب إلى باديته وثبت على إسلامه.

ومنه: ما روي عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال: شردت لنا إبلٌ
فأتيت حليسا الأسدي فسألته عنها فقال لبنت له: خطى، فخطت ونظرت ثم انقبضت
وقامت منصرفةً فنظر حليس في خطها فضحك وقال: أتدري لم قامت؟ قلت: لا، قال:
رأت أنك تجد إبلك تتزوجها فاستحيت فقامت، فخرجت فأصبت إبلي ثم تزوجتها بعد.

الفأل والطيرة

حكي أنه لما ولد لسعيد بن العاص عنبسة قال سعيد لابنه يحيى: أي شيء تجله؟ قال:
دجاجة بفراريجها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمةً فقال سعيد: إن صدق الطير
ليكونن أكثر كم ولداً فكان كذلك.

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد اعترضه بالفيوم قوم من العرب فسأل رجلاً:
ما اسمك؟ فقال منصور بن سعد: وأنا من سعد العشيرة، فتبسم تفاؤلاً به وتيمناً
واستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة.

ومن الطيرة: ما حكى عن بعضهم قال: حضرت الموقف مع عمرو بن الخطاب رضي اله
عنه فصاح به رجلٌ من خلفه: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير
المؤمنين، فقال رجل من خلفه: دعاه باسم ميت! مات والله أمير المؤمنين، ولا يقف هذا

الموقف أبدا! فالتفت إليه فإذا هو اللهبي، فقتل عمر قبل الحول.
وحكي أن عمر رضي الله عنه خرج إلى حرة واقم فلقي رجلا من جهينة فقال له: ما
اسمك؟ قال: شهاب، قال: ابن من؟ قال: ابن جمرة!
قال:وممن أنت؟ قال: من الحرقة!
قال: ثم ممن؟ قال: من بني ضرام! قال: وأين منزلك؟ قال: بحرة ليلى! قال: وأين تريد؟
قال: لظى وهو موضع! فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، قال:
فأدركهم، وقد أحاطت بهم النار.
وقال المدايني: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قريةً
من الصعيد يقال لها: شكر، فقدم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك فقال له عبد العزيز: ما
اسمك؟ قال طالب بن مدرك؟ فقال: أوه! ما أراني راجعا إلى الفسطاط أبداً، ومات في
تلك القرية.
وقيل: بينا مروان بن محمد في إيوان له ينفذ الأمور، فانصدعت زجاجة الأموال، فوقعت
الشمس منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال: صدع الزجاج أمر منكر على
أمير المؤمنين، ثم قام فاتبعه ثوبان مولى مروان. فقال له: ويحك! ما قلت؟ قال. قلت:
صدع الزجاج صدع السلطان، تذهب الشمس بملك مروان، بقوم من الترك أو خراسان،
ذلك عندي واضح البرهان! قال: فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم.
وقال إبراهيم بن المهدي: أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مقمرة من ليالي الصيف فقال: يا
عمي! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت قصر إلي فإني إليك مشتاق فجئته وقد بسط
له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساءٌ روذباري، وقلنسوة طويلة، وجواريه
بين يديه وضعف جاريته عنده. فقال لها: غنيني فقد سررت بعمومتي فاندفعت تغنيه:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

هكذا غنته، وإنما هو:

وعند علي سيفه ونجائبه
فغضب وتطير، وقال: ما قصتك؟ ويحك! غنيني ما يسرني، فغنت

هذا مقام مطردٍ هدمت منازله ودوره
فازداد تطيرا، ثم قال: ويحك! انتهى وغني غير هذا فغنت
كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
فقال لها: قومي إلى لعنة الله، فوثبت، وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه يسميه محمد
باسمه، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني
فانكسر، فأقبل علي وقال: أرى
والله يا عم أن هذا آخر أمرنا، فقلت: كلا! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك، قال:
ودجلةُ والله هادئة ما فيها صوت مجداف، ولا أحد يتحرك،
فسمعت هاتفاً يهتف: قضى
الأمر الذي فيه تستفتيان قال فقال لي: سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته،
فإذا الصوت قد عاد فقال: انصرف بيتك الله بخيرٍ فمحال أن لا تكون الآن قد سمعت ما
سمعت، فانصرفت وكان آخر العهد به.
وشبيه بهذا ما حكي عن علوية المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج إلى الشام، فدخلنا
دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية، ويتتبع آثارهم، فدخلنا صحناً من
صحونهم، مفروشاً بالرخام الأخضر، وفيه بركة ماء فيها سمك، وأمامها بستان،
فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب،
وأقبل علي فقال: غنني
ونشطني، فكأن الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس
الرقيات
لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجالٌ أراهم نطقوا
من كل قرمٍ محضٍ ضرائبه عن منكبيه القميص ينخرق
قال: فنظر إلي مغضباً، وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، ويلك! أقلت لك سرني أو
سؤني؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي؟ فتجلدت عليه
وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتلومني على أن أذكر بني أمية؟ هذا مولاكم زرياب
عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له، ويملك ثلثمائة ألف دينار وهبوها له سوى الخيل
والضياع والرقيق: وأنا عندكم أموت جوعا، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك
غير هذا؟ فقلت: هكذا حضرني حين ذكرتهم، فقال: أعرض وتنبه على إرادتي وغن
فأنساني الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فاستقدت لها وأرتك أمر غوايةٍ رشدا
فرماني بالقدح فأخطأني وانكسر القدح، وقال: قم إلى لعنة الله وحر سقر! فركب، وكانت
تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل.
ومثل ذلك ما حكي في قتلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوال
سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان: أحب أن نصطبح، فأحضر المغنين وفيهم
أحمد بن أبي العلاء فقال له: غن فغنى
يا عاذلي من الملام دعاني إن البلية فوق ما تصفان
زعمت بثينة أن فرقتنا غدا لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني
فتطير المتوكل منه، وقال: أحمد! كيف وقع لك أن تغني بهذا الشعر، قال: فشغل قلب ابن
أبي العلاء لما أنكر عليه، ثم ذهب ليغني غيره، فغناه ثانية، فقال المتوكل: نسأل الله خير
هذا اليوم، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر، فلما فرغ قال له الفتح: يا سيدي أتمم يومك،
فدعا بالشراب وقال: أين ابن أبي العلاء؟ فأحضر فقال له: غن، فأغمي عليه فأعاد البيتين
فاغتم المتوكل غاية الغم وقتل في الليلة الآتية من ذلك اليوم.
قال القاضي أبو علي الجويني: حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة ابن
منصور بن دبيس، وابنه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه وقد أتى
بديوان أبي نصر بن نباته فتصفحه فوقع بيده وقال: يعزى سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه
أبا المكارم محمد، فأخذت المجلد وأطبقته فعاد فتصفحه فخرج ذلك، ومن القصيدة التي
عناها قوله:
فإن بميا فارقين حفيرةً تركنا عليها ناظر الجود داميا
تضمنها أيدي فتى ثكلت به غداة ثوى أمالنا والأمانيا
ولما عدمنا الصبر بعد محمد أتينا أباه نستفيد التعازيا
حكي: أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل، فلما أراد
الدخول إليها اندق لواؤه في أول درب منها، فتطير من ذلك وعظم عليه، فقال أبو الشمقمق:
ما كان مندق اللواء لريبةٍ تخشى ولا أمرٍ يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه صغر الولاية فاستقل الموصلا
فسرى عن خالد، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون، فزاده ديار ربيعة وكتب إليه:

هذا التضعيف الموصل متن رمحك، فأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم.
وقيل: لما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجلقي، وقع
على الشمسية التي ترفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألح، كلما نفر عاد، فتفاءل الناس له
بذلك وسر هو به، فقال إنسان يعرف بملكدار: هذا جارح ومنقبض الكف وليس فيه
بشرى بل ضدها، وأقبل السلطان في جيشه فكانت الكسرة وقبض على المسترشد وقتل
من بعد.
خرج بعض ملوك الفرس إلى الصيد، فكان أول من استقبله أعور فأمر بضربه وحبسه، ثم
خرج وتصيد صيداً كبيرا، فلما عاد استدعى الأعور وأمر له بصلة، فقال الأعور: لا
حاجة لي في صلتك، ولكن ائذن لي في الكلام، فقال: تكلم!
قال: لقيتني فضربتني وحبستني، ولقيتك فصدت وسلمت فأينا أشأم؟ فضحك وخلاه.
الفراسة والذكاء
يقولون: عظم الجبين يدل على البله، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره على لطف
الحركة، والحاجبان إذا اتصلا على استقامة دلا على تخنيث واسترخاء، وإذا تزججا نحو
الصدغين دلا على طنزٍ واستهزاء، والعين إذا كانت صغيرة الموق دلت على سوء دخلة،
وخبث شمائل، وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد، والعين المتوسطة في حجمها
دليل فطنة وحسن خلق ومروءة، والناتئة على اختلاط عقل، والطائرة على حدة، والتي
يطول تحديقها على قحة وحمق، والتي تكسر طرفها على خفة وطيش، والشعر على الأذن
يدل على جودة السمع، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان.
وحكي: أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه إلى مهرجا بعد أن فتحا ودخل دار الهرمزان بعد أن جمع السبي والغنائم، ورأى في
بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبيٍ وهو مشير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال
السائب: لأمرٍ ما صور هذا الظبي هكذا، إن له لشأنا، فأمر بحفر الموضع الذيً الإشارة إليه

فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام، فيه سفط جوهر فأخذه السائب وخرج به إلى
عمر رضي الله عنه.
وقيل: كان المعتضد يوما جالسا في بيت يبني له وهو يشاهد الصناع فرأى في جملتهم عبدا
أسود منكر الخلق، شديد المرح، يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف ما
يحمل غيره، فأنكر أمره، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج فقال لوزيره: قد خمنت في
هذا تخميناً ما أحسبه باطلا، إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها، أو لصا
يتستر بالعمل، ثم قال: علي بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضربن عنقه،
فقال الأسود: ولي الأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم! إلا ما كان من حد، فظن أنه قد أمنه،
فقال: كنت أعمل في أتون الآجر، منذ سنين، فأنا منذ شهور جالس إذ مر بي رجل في
وسطه كيس فتبعته وهو لا يعرف مكاني فحل الهميان وأخرج منه دينارا فتأملته فإذا كله
دنانير فكتفته وسددت فاه وأخذت الهميان وحملته على كتفي وطرحته في التنور وطينت
عليه، فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها في دجلة والدنانير معي تقوي قلبي قال:
فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير، وإذا على الكيس: لفلان بن فلان، فنادي في المدينة،
فحضرت امرأته وقالت: هذا زوجي وقد ترك طفلا صغيرا خرج في وقت كذا ومعه كيس
فيه ألف دينار، فغاب إلى الآن، فسلم الدنانير إليها وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود
وأمر أن يوضع في الأتون.
وقيل: جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول في الطرقات،
فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع إلى منزله به،
فدفعه إلى امرأته، فذكرت المرأة أن المال سرق ولم ير نقباً ولا تسلقا، فقال له المنصور: منذ
كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة، قال: فبكراً أو ثيباً؟ قال ثيبا، قال: فلها ولد من سواك؟
قال: لا، قال: شابة أم مسنة؟ قال: شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال: تطيب
بهذا، فهو يذهب همك، فأخذها وانقلب إلى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته: اقعدوا

على أبواب المدينة، فمن مر بكم وعليهم شيء من هذا الطيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك
الطيب، ومضى الرجل بالطيب، فدفعه إلى امرأته وقال: وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شمته
بعثت به إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت إليه المال فتطيب به، ومر مجتازا ببعض
الأبواب، فأخذ وأتى به إلى المنصور، فقال له: من أين استفدت هذا الطيب؟
فلجلجلسانه، فسلمه إلى صاحب شرطته وقال: أن احضر الدنانير وإلا فاضربه ألف
سوط، فما هو إلا أن جرد وهدد، فأحضر الدنانير على حالتها فأعلم المنصور بذلك،
فدعا صاحب الدنانير وقال: أرأيتك إن رددت عليك متاعك بعينه أتحكمني في امرأتك؟
قال: نعم! قال: خذ دنانيرك وقد طلقت امرأتك وخبره الخبر.
ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يبخره فقال للخادم: ائت القاضي
بعود، فذهب فجاء بالعود الذي يلهى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا
أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد
القاضي، فقال شريك: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرض فكسره ثم
أفاضوا في حديث آخر حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك: ما تقول فيمن أمر وكيلاً له
أن يأتي بشيء فجاء بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم:
اضمن ما تلف.

الباب الرابع
الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع، فأحسنها العدول عن الكلام القبيح إلى ما يدل على معناه في لفظ
أبهى منه. ومن ذلك أن يعظم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته، أو يكنى باسم ابنه
صيانة لاسمه، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى "فقولا له قولاً ليناً" أي
كنياه. وقد كني رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بأبي
تراب، وقال البحتري:

يتشاغفن بالصغير المسمى موضعاتٍ وبالكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل، وقول ابن الرومي:

بكت شجوها الدنيا فلما تبينت مكانك منها استبشرت وتثنت

وكان ضئيلا شخصها فتطاولت وكانت تسمى ذلةً فتكنت
وقال أبو صخر الهذلي:
أبي القلب إلا حبه عامريةً لها كنيةٌ عمروُ وليس لها عمرو
ومن عادة العرب وشأنهم، استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحيي من ذكرها، قصدا
للتعفف باللسان، كما يتعفف بسائر الجوارح، قال الله عز وجل تأديبا لعباده "قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم" فقرن عفة البصر بعفة الفرج، وفي القرآن كناياتٌ
عدل بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن، كقوله تعالى: "نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا
حرثكم أنى شئتم" وقال أبو عبيد: هو كناية، شبه النساء بالحرث، وقوله تعالى: "وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا"، قيل: هو كنايةٌ عن الفروج، وفي موضع آخر: "يوم يشهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون"، وقوله تعالى: "أحل لكم ليلة الصيام الرفث
إلى نسائكم"، وقوله تعالى: "ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقةٌ كانا يأكلان الطعام" قال المفسرون: هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه،
وهو الحدث، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث. ثم قال: "انظر كيف نبين لهم الآيات"
وهذا من ألطف الكناية، ومنه قوله تعالى: "أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم
النساء" فالغائط: المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن
المرتفعة. ومن لم ير الضوء من لمس النساء جعل الملامسة ها هنا كناية عن الفعل.
ومن الكنايات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وإن كان قد ورد في الأمثال
أشبه بالكناية منها قوله صلى الله عليه وسلم "إياكم وخضراء الدمن" يريد بها المرأة
الحسناء في المنبت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدمن، وهو البعر في البقعة من
الأرض فأذا أصابه المطر نبت غضا يهتز وتحته الدمن الخبيث، يقول: فلا تنكحوا هذه المرأة
الحسناء لجمالها، ومنبتها خبيثٌ كالدمن، فإن أعراق السوء تزرع أولادها، وقال زفر بن
الحارث:
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم: "حمى الوطيس" قاله لما جال المسلمون يوم حنين، والوطيس:
حفيرة تحتفر في الأرض شبيهةٌ بالتنور، وقال الحسن: لبث أيوب عليه السلام على المزبلة
سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلقٌ أكرم على الله منه، فما سأل الله العافية إلا
تعريضا في قوله: "إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين"
والعرب تكنى عن الفضلة
المستقذرة بألفاظ كلها كنايات منها: الرجيع والنجو والبراز والغائط والعذرة والحش، فبعض
هذه الألفاظ يراد بها نفس الحدث، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتي بها المحدث، وكذلك
استعملوا في إتيان النساء: المجامعة، والمرافعة، والمباضعة، والمباشرة، والملامسة،
والمماسة، والخلوة، والإفضاء، والغشيان، والتغشي، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.
وحكي: أن رجلا من بني العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل، وعزموا على غزو قومه،
فسألهم رسولا إلى قومه، فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم، وجيء بعبد أسود،
فقال له: أتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل! قال: ما أراك عاقلا. ثم أشار بيده إلى الليل، فقال:
ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلا. ثم ملأ كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا
أدري وإنه لكثير، قال: أيما أكثر؟ النجوم أم النيران؟ قال: كل كثير، فقال: أبلغ قومي
التحية، وقل لهم ليكرموا فلانا، يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر، فإن قومه لي مكرمون
وقل لهم: إن العرفج قد أدبي، وشكت النساء، وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء، فقد أطالوا
ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حيساً، واسألوا عن خبري أخي
الحارث، فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا: قد جن الأعور، والله ما نعرف له ناقة حمراء،
ولا جملاً أصهب، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة، فقال: قد أنذركم؛
أما قوله: قد أدبي العرفج، يريد: أن الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح، وقوله: وشكت
النساء، أي اتخذن الشكاء للسفر، وقوله: الناقة الحمراء، أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا
الصمان وهو الجمل الأصهب، وقوله: بآية ما أكلت معكم حيساً أي أخلاط من الناس وقد

غزوكم، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط، فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحن كلامه،
وحكي أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى مجاهد ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال: قدم
علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة، فسمرنا
عنده. ثم قال: ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة. وابدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح
الله الأمير، أحديث الحق أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث الحق، قلت: إن امرأ القيس
آلى ألية أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين، فجعل يخطل النساء فإذا
سألهن عن هذا، قلن أربعة عشر، فبينا هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة
له صغيرة، كأنها البدر لتمه، فأعجبته فسألها: يا جارية! ما ثمانية وأربعة واثنان؟ فقالت:
أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة فأخلاف الناقة، وأما اثنان فثديا المرأة، فخطبها إلى
أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصالٍ، فجعل لها ذلك،
وعلى أن يسوق إليها مائةً من الإبل، وعشرة أعبدٍ، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل
ذلك، ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة، وأهدى لها نحياً من سمن، ونحياً من عسل، وحلة من
قصب، فنزل العبد على بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرةٍ فانشقت، وفتح
النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف فسألها عن
أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا،
ويبعد قريبا، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي ذهب يراعي الشمس، وأن
سماءكم انشقت، وأن وعاءيكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: أن
أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا: فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها:
ذهبت أمي تشق النفس نفسين: فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء، وأما قولها: ذهب أخي
يراعي الشمس: فإن أخاها في سرحٍ له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها:
أن سماءكم انشقت: فإن البرد الذي بعثت به انشق، وأما قولها: أن وعاءيكم نضبا: فإن

النحيين نقصا، فاصدقني، فقال: يا مولاي! إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن
نسبي، فأخبرتهم أني ابن عمك، ونشرت الحلة فلبستها وتجملت بها، فتعلقت بسمرة
فانشقت، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك، ثم ساق مائةً من
الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقي الإبل، فعجز، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر،
وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك! فقالت:
والله ما أدري أزوجي هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها،
ففعلوا، فأكل ما أطعموه، قالت: اسقوه لبنا حازرا وهو الحامض فسقوه، فشرب، فقالت:
افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: أريد أن أسألك
عن ثلاث، قال: سلي عما بدا لك، فقالت: لم تختلج شفتاك؟ قال: من تقبيلي إياك! قالت:
لم تختلج فخذاك؟ قال: لتورك إياك! قالت: فلم يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إياك!
قالت: عليكم العبد! فشدوا أيديكم به، ففعلوا، قال: ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من
البئر، فرجع إلى حيه واستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل له: قد جاء زوجك!
فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها
وذنبها، ففعلوا فلما أتوه بذلك، قال: وأين الكبد والسنام والملحاء؟ فأبى أن يأكل، فقالت:
اسقوه لبنا حازرا، فأتى به، فأبى أن يشربه وقال: أين الصريف والرثيئة؟ فقالت: افرشوا له
عند الفرث والدم، ففرشوا له، فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التلعة الحمراء واضربوا
عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث، فأرسل إليها: سليني
عما شئت، فقالت: لم تختلج شفتاك؟. قال: لشرب المشعشعات، قالت: فلم يختلج
كشحاك؟ قال: للبس الحبرات، قالت: فلم يختلج فخذاك؟ قال: لركض المطهمات، قالت:
هذا زوجي لعمري! فعليكم به، واقتلوا العبد فقتلوه، ودخل امرؤ القيس بالجارية، قال ابن
هبيرة: حسبكم! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا

أحدٌ بأعجب منه، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بجائزة.
وقيل: بعث بشامة بن الأعور العنبري إلى أهله بثلاثين شاةً ونحيٍ صغير فيه سمن، فسرق
الرسول شاة، وأخذ من رأس النحى شيئا، فقال لهم الرسول: ألكم حاجةٌ أخبره بها؟
فقالت امرأته: أخبره أن الشهر محاق، وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثوما، فارتجع
منه الشاة والسمن.
وقيل: أسرت طيء غلاما، فقدم أبوه ليفديه، فاشتطوا عليه.
فقال أبوه: لا والذي جعل
الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبلي طيءٍ! ما عندي غير ما بذلته، ثم انصرف وقال:
لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه. كأنه قال: الزم الفرقدين على جبلي طيء، ففهم
الابن تعريضه وطرد إبلاً لهم من ليلته ونجا.
ومن التخليص المتوسط إليه بالكناية، ما روي عن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أنه
قال يوما في حق الوليد بن عقبى بن أبي معيط: ألا تعجبون لهذا؟ أشعر بركاً يولي مثل
هذا المصر، والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين. فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر: أنشد
الله رجلاً سماني أشعر بركاً إلا قام، فقام عدي بن حات فقال: أيها الأمير، إن الذي يقوم
فيقول: أنا سميتك أشعر بركاً لجريءٌ، فقال له: اجلس يا أبا طريفٍ! فقد برأك الله منها،
فجلس وهو يقول: ما برأني الله منها.
وقيل: كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروق
رسولا وقال: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركته يأمر وينهي، قال مسروق: إنه صاحب
مرض، فارجع إليه واسأله ما يأمر وينهي، قال: يأمر بالوصية وينهي عن النوح.
خطب رجل إلى قوم فجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال: هو والله ما
علمت نافذ الطعنة، ركي الجلسة، فزوجوه، فإذا هو خياط فأتوه فقالوا: غررتنا فقال: ما
فعلت وإنه لكما وصفت.
وخطب باقلاني إلى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسألوه فقال: إنه لعظيم الرماد، كثير
الغاشية.
قيل: أخذ العسس رجلين فقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما:
أن ابن الذي لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فمنهم قيامٌ حولها وقعود
وقال الآخر:
أنا ابن من تخضع الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالذل وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها
فظنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما، فإذا الأول ابن طباخ والثاني ابن
حجام.
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف: أي الطعام أحب إليك؟ قال: الزبد
والكمأة. فقال: ما هما بأحب الطعام إليه، ولكنه يحب الخصب للمسلمين.
قال لقمان لابنه: كل أطيب الطعام، ونم على أوطأ الفرش كنى عن إكبار الصيام، وإطالة
القيام.
ومن جيد التورية وغريبها مع توخي الصدق في موطن الخوف: قول أبي بكر الصديق
رضي الله عنه، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه عام الهجرة، فقيل
له: من هذا يا أبا بكر؟ فقال: رجل يهديني السبيل.
ورفع إلى عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وصيةٌ لرجل بمال أمر أن تتخذ به حصون.
فقال: اشتروا به خيلا للسبيل، أما سمعتم قول النخعي:
ولقد علمت على تجنبي الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى
قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شرابٍ، فدخل على الوليد بن عبد الملك، وبوجهه أثر،
فقال: ما هذا؟ قال فرس لي أشقر، ركبته فكبابي، فقال: لو ركبت الأشهب لما كبابك،
يريد الماء.
قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير: ما ثابت من الأسماء! ليس باسم رجل ولا
امرأة، قال: يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان اسمي إلي، لسميت نفسي زينب، يعرض به،
فإنه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها، فقالت: لا أوسخ نفسي بأتى
الذبان.
قال نميري لفقعسي: إني أريد إتيانك فأجد على بابك جروا، فقال له الفقعسي:
اطرح عليه ترابا وادخل، أراد النميري قول الشاعر:
ينام الفقعسي وما يصلي ويخرى فوق قارعة الطريق
وأراد الفقعسي قول الآخر:
ولو وطئت نساء بني نميرٍ على تربٍ لخبثن التراب

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمي: أخرجي المال الذي وضعته تحت
استك، فقالت: ما ظننت أن أحدا يلي شيئا من أمور المسلمين يتكلم بهذا، فقال بعض من
حضر: أما ترون الخلع الخفي الذي أشارت إليه؟ فلما أخذ الحجاج أم عبد الرحمن بن
الأشعث تجنب ما عيب على ابن الزبير، فكني عن المعنى فقال لها: عمدت إلى مال الله
فوضعته تحت ذيلك.
ماتت للهذلي أم ولدٍ، فأمر المنصور الربيع بأن يعزيه ويقول له: إن أمير المؤمنين يوجه إليك
بجارية نفيسة لها أدبٌ وظرفٌ تسليك عنها، وأمر لك بفرسٍ وكسوةٍ وصلةٍ، فلم يزل الهذلي
يتوقعها، ونسيها المنصور، ثم حج ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة: أحب أن أطوف الليلة
في المدينة، وأطلب من يطوف بي فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فطاف به حتى وصل إلى
بيت عاتكة فقال: يا أمير المؤمنين! وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فأنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه، فلما رجع أمر القصيدة على
خاطره فإذا فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فتذكر الموعد وأنجزه واعتذر إليه.
اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب، فمر رجل ببازٍ فقال رجل من بني تميم لآخر
من بني نمير: هذا البازي! فقال النميري: إنه يصيد القطا، عرض الأول بقول جرير:

أنا البازي المطل على نميرٍ أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرماح:

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأيوب بن ظبيان النميري وهو يسايره: غض من بغلتك! فقال:
إنها مكتوبة، أراد بن هبيرة قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميري قول ابن دارة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

وقيل: كان العزيز بن المعز العبيدي أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له

فسبق طائر الخادم طائر الخليفة، فبعث إلى وزيره ابن كلس اليهودي يستعلمه عن ذلك
فاستحيي أن يقول: إن طائر الخليفة سبق، فكتب إليه:
يا بن الذي طاعته عصمةٌ وحبه مفترضٌ واجب
طائرك السابق لكنه جاء وفي خدمته حاجب
جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك زوجي، خير أهل الأرض إلا
رجلٌ سبقه لعمل، أو عمل مثل عمله، يقول الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم
أخذها الحياء فقالت: أقلني يا أمير المؤمنين! فقال: جزاك الله خيرا! فقد أحسنت الثناء،
فلما ولت قال كعب بن شور: يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى، فإنها كنت
بذلك عن عدم المباضعة.
الباب الخامس
الألغاز والأحاجي
قالوا: واشتقاق اللغز من ألغز اليربوع ولغز: إذا حفر لنفسه مستقيما، ثم أخذ يمنةً ويسرة
ليواري بذلك ويعمي على طالبه. وللغز أسماءٌ فمنها: المعاياة، والعويص، والرمز، والمحاجاة،
وأبيات المعاني، والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكناية، والتعريض، والإشارة، والتوجيه،
والمعمي، والممثل، ومعنى الجميع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتبارات،
فإنك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعابيك، أي يظهر إعياءك وهو التعب، سميته:
معاياة، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه واعتياص استخراجه، سميته: عويصا، وإذا
اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سميته: لغزاً، وفعلك له: إلغازا، وإذا
اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت: رمز، وقريب منه الإشارة، وإذا اعتبرته
من حيث إن غيرك حاجاك أي استخرج مقدار عقلك، سميته: محاجاة، وإذا اعتبرته من
حيث إنه استخرج كثرة معانيه، سميته: أبيات المعاني، وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد
يوهمك شيئا ويريد غيره، سميته: لحنا وسميت فعلك: الملاحن، وإذا اعتبرته من حيث إنه
سترعنك ورمس فهو: المرموس، والرمس: القبر، وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول إليك،
سميته: مؤولا، وسميت فعلك: تأويلا، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بغرضه،

سميته: تعريضا وكناية، وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميته: الموجه، وسميت
فعلك: التوجيه، وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك، سميته: معمى.
قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان:

ما واحد مختلف الأسماء يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائي
أخرس لا من علة وداء يغني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء

قوله: مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس، والآصطرلاب، وسائر آلات الرصد، وهو معنى
قوله: يحكم في السماء. وميزان الكلام: النحو، وميزان الشعر: العروض، وميزان المعاني:
المنطق، وهذه الميزان والذراع والمكيال.
وقال آخر فيه:
ما تقولون؟ فيما نزل من السماء، وعلق في الهواء، له عينٌ عمياء، وكفٌ شلاء، ليس له إن
عدل ثواب، ولا عليه إن جار عقاب، خلق من ثلاثة أجناس، تضعضعه الأنفاس، جسمه
عارٍ من غير لباس، أخرس اللسان، في أذنه خرصان، مكرر الذكر في القرآن، ينطوي إذا نام
كالصل، وفعله المستقبل معتل، وله في الآخرة أكبر محل.
وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم:

ومنكوحٍ إذا ملكته كفٌ وليس يكون في هذا مراء
له عينٌ تخللها ضياءٌ فإن كحلت فللميل العماء
يظل طليعةً للوصل هونا وللخاشي بزورته احتماء
وقد أوضحته وأبنت عنه ففسره فقد برح الخفاء

أراد بقوله: تخللها ضياءٌ أي أنها مفتوحة وكحلها بالإصبع، وقد يبعث المحبوب بخاتمه
علامةً للزيارة أو رهنا عليها وهو أمانٌ للجاني.
وقال ابن الرومي في فتيلة السراج:

ما حيةٌ في رأسها درة تسبح في بحرٍ قليل المدى
إن غيبت كان العمى حاضرا وإن بدتٍ لاح طريق الهدى

وقال السري الرفاء في شبكة الصياد:

وكثيرة الأحداق إلا أنها عمياء ما لم تنغمس في ماء
وإذا هيي انغمست أفادت ربها ما لا ينال بأعين البصراء

وقال آخر في النوم:

وحاملٍ يحملني وما له شخصٌ يرى
إذا حصلت فوقه وهو لذيذ الممتطى
سريت لا أدري أفي أرض سريت أم سما

وقال أبو العلاء المعري في ركابي السرج:

خليلان نيطا في جوانب مجلسٍ جداراه قدام له ووراءِ
متى يضع الرجلين ماشٍ عليهما يزل عنه في شكٍ حفاً وحفاء
قوله: خليلان لتشابههما، والمجلس: السرج، وجداراه: قربوسه ورادفته، والحفا مقصور:
وجع الرجل، وممدود: من مشى الرجل حافيا بغير نعل.
وقال ابن القاسم عبد الصمد بن نائ في القفل:
مجامعٌ يعقد عقد الكلبه إن رامه غيرك جر نكبه
ينام كالأمرد لا كالقحبه حتى إذا شك القمد جنبه
وعالج الجذبة بعد الجذبه وانحل بالحقنة لا بالشربه
ألقي جنينا نتجته العزبه ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبه يبغض وهو صادق المحبه
يعتقد السلم وينوي حربه وهو على ذاك طويل الصحبه
شبهه بالمجامع: لدخول الفراش في بطنه، وقوله: يعقد عقد الكلبة: في عسر المفارقة، وإن
فتحه غيرك جر نكبة عليك لسرقة ما فيه، ينام كالأمرد: لانكبابه، والقمد: الذكر وهو
المفتاح، والجنين: الفراش، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف.
وقال في اسم سعيد:
يبسم عن أول اسمه حبي ثم بثاني حروفه يسبي
ثم بحرفين لو بدا بهما أسدي يدا صورة اسمها تنبي
أربعة نصفها كجملتها في العد لم تنتقص ولم تربي
هذا وفيه اسم يومٍ اتفقت مفاخر العجم فيه والعرب
فأعمل الفكر في تأمله واركب به كل مركب صعب
شبه السين بالثغر، وثانيه العين وهي تسبي القلوب، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستة
في الصورة، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم
التفاخر بالزينة واللبوس.
وقال ابن أبي البغل الكاتب في القلم:
اصم عن المنادي لا يجيب به تخبو وتشتعل الخطوب
ضئيل الجسم أعلم ليس تخفى عليه غيوب ما تخفى القلوب
تراه راجلاً لا روح فيه ويحييه وينطقه الركوب
يبين لسانه ما كن سوداً معارفه ويخرسه المشيب
يقسم في الورى بؤسى ونعمى ويحكم والقضاء له مجيب
عجبت لسطوة فيه وضعف وكل أموره عجبٌ عجيب
أراد بقوله: أعلم: مشقوق الشفة.
وقال أبو العلاء المعري في الملح:
وبيضاء من سر الملاح ملكتها فلما قضت إربي حبوب بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل تحثهم بعد الطعام على الشرب

قوله: سر أي خالصة، والملاح جمع ملح، والإرب: الحاجة.
وقال آخر في عودي الغناء والبخور:

وما شيئان إسمهما سواءٌ وأصلهما معا عند انتساب
إذا حضراك بت قرير عين بلا طعم يلذ ولا شراب
وما أن يوجدان النفع إلا بضرب أو بضرب من عذاب

معنى اسمهما سواء ظاهرٌ، وأصلهما خشب، والضرب الأول: ضرب العود، والثاني: من العذاب وهو الإحراق.
وقال آخر في الحرب:

ما ذات شوكٍ لها جناح يختطف الناس عن قريب
وهي عقيم ترى بنيها من بين مردٍ وبين شيب
يأكل بعض البنين بعضا طلوع شمس إلى غروب
تصحيفها الداء غير شك قد يحسم الداء بالطيب
والداء معكوسه مكان يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبا بالشعر والنحو والغريب

هذا لغز معمي في الحرب، وشوكها: السلاح، وجناحاها: جانباها، وعقيم: لأنها لا تلد، وبنوها: رجالها، وأكلهم: قتلهم، وتصحيفها: الجرب، وعكسه: برج.
وقال آخر في الثدي:

وما أخوان مشتبهان جداً كما اشتبه الغرابة والغراب
يضمهما على مر الليالي وما اجتمعا ولا افترقا إهاب
لذاك وذا دموع هاملات ولكن كل دمعهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين ويضرب دون نيلهما حجاب

هما: ثديا المرأة، ويضمهما إرهاب: وهو الجلد.
وقال آخر في الفخ:

وما ميت كفنته ودفنته فقام إلى حي صحيح فأوثقه

وقال آخر وهو لغز:

حلف الحبيب علي لا سميته فكنيته ولطفت خوف تغاضبه
ظبي إذا ما زارني حل اسمه قلبي وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رخمته وخرمته وقلبته ما تشتهي من صاحبه
ويكون إن صحفت مبدأه الذي أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميزت في الت صحيف مقلوبا أشد معائبه
وحروفها فالنصف منها جذرها وحساب ذلك غير متعب حاسبه
فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا نيه وثالثه كذاك لطالبه
وتمامه من بعد مثل حروفه في البيت صح اسم الحبيب لقالبه

هو لغز في فرحةٍ، والترخيم: حذف الآخر، والخرم: حذف الأول، فإذا رخم وخرم وقلب

بقي: حر، وإذا قلبت الفاء قافا بقي: قرحة لعين المراقب، وإذا صحفته مقلوبا، جزمت
آخره صار: هجر، والنصف من حروفه اثنان، وهما جذر جميع حروفه، وقوله: فاطلبه
سادس سادس: يعني البيت السادس.
وقال آخر في سلمى:
سل ماهراً بالقريض والأدب ما اسم فتاةٍ قعيدة النسب
قد صرح الشعر باسمها فمتى فكرت فيها ظفرت بالعجب
الاسم: سلمى، وهو ظاهر في أول البيت.
وقال آخر في الكرة:
ومضروبةٍ تحيا إذا ما ضربتها وإن تركت من شدة الضرب ماتت
وقال أبو عبد الله بن المغلس بن السراج:
وداع إلى نفسه في الظلام وما سمعت أذنه صوته
إذا هو بيض وجه الطري ق سود في وجهه بيته
وقال آخر في الصدى:
وساكنٍ يسكن في الفلاة ليس في الوحش ولا النبات
ولا منَ الجن ولا الحيات ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذي جسم ولا حياة كلا ولا يدرك بالصفات
بلى له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات
وقال ابن المغلس في النخلة:
وقائمة أبدا لا تنام وما قعدت قط مذ قامت
تعيش إذا غسلوا رجلها وإن حلقوا رأسها ماتت
وقال آخر:
ما يقول سيدنا الشيخ: في شيء نزل من السماء، وركض في الهواء، وخيم في البيداء، نطق
على نفسه فأفصح، وتكلم فبين وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق من غير
غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل الرضيع، مختلف
الألوان، يوجد في كل زمان، ما أكثر لغاته! وأعم في البشر ذكر صفاته! وهو خفيف ثقيل،
كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غال رخيص، قوي ضعيف، سريع بطيء، بارد حار،
نافع ضار، أبيض أسود أزرق، قريب بعيد، قديم جديد، متحرك ساكن، ظاهر باطن،
يتجسر ويتكسر، ويتعوج ويتدور، سلطانه في الشمال وبه يذل، وضعفه في الجنوب وبه يعز،
نحيل يخفي جثة الفيل في طيه وعطفه، ويتخلل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه، يمشي على
الحدق فلا يؤلمها، ويطأ القلوب فلا يكلمها، على أنه يقطع الطريق، ويخيف الفريق، كم أهلك

من قوم وما راق ولا سفك! يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل دينار، وهو ليليٌّ نهاري،
عربيٌّ عجميٌ، بريٌّ بحريٌّ، سهليٌّ جبليٌّ، روميٌّ نوبيٌّ، هنديٌّ حبشيٌّ، صينيٌّ جاهليٌّ
إسلاميٌّ، كان مع آدم في الجنة، وصحب نوحا في السفينة، وتوسط النار مع إبراهيم، كم له
مع موسى من خبر! ولموسى فيه من آية وأثر! حمل المسيح على غير ظهر، وما سار في بر
ولا بحر، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من جسده، وفرقه على صحابته، إذا نطقت
به كان بعض أحد خلفاء بني العباس السبعة وهو 1431 .
وقال آخر:
ما شيءٌ وجهه قمر، وقلبه حجر إن علقته ضاع، وإن أدخلته السوق أبي أن يباع، وإن
فككته دعا لك، وإن ركبت نصفه هالك، وربما كثر أموالك، وإن حذفت آخره، وشددت
ثانيه، أورثك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر: هو الدملج الفضة.
مسائل العويص
فمن ذلك: امرأتان التقتا برجلين قالتا لهما: مرحبا بابنينا وزوجينا وابني زوجينا، وذلك
أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر فهما ابناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما.
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم
الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عم الآخر وابن أخيه.
رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج
بابنة الآخر، فرزق كل واحد منها ولدا فكل من ولديهما خال الآخر وابن أخته.
رجل وامرأتان هو خال أحديهما، وهي خالته وعم الأخرى، وهي عمته، وذلك: أن جدته
أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه، فولدتا بنتين فبنت أخته خالته
وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل الأبيات المنظومة في ذلك:
ولي خالة وأنا خالها ولي عمة وأنا عمها
رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج
بأخت الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا، فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن عمته.

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب
الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر.
رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة ابن
الآخر، فكل من أولادها عم أم الآخر.
رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك: أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة بنت
الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر.
رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله، وذلك: أن رجلين تزوج أحدهما امرأةً يتزوج
الآخر ابنة ابنها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة
الأب، هو أخوها وخال ابنها.
رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته، وذلك: أن رجلاً له أخ
لأب وأخت لأم فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك.
القسم الثالث
المدح، والهجو، والمجون..،
والفكاهات، والملح، والخمر، والمعاقرة، والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب
الباب الأول وفيه ثلاثة عشر فصلا
في المدح
حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل في الإعطاء قبل
السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور العقل، ما قيل في الصدق، ما
قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل في القناعة والنزاهة ما قيل في الشكر
والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل في الشفاعة، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف.
فأما حقيقية المدح، فقد عبر عنها الحمدوني في غاية الاختصار والإيجاز بقوله: حقيقة
المدح: وصف الموصوف بأخلاق يحمد صاحبها عليها، ويكون نعتاً حميداً. قال الله تعالى
"قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين
هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون" وقال عز وجل: "التائبون العابدون

الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين" وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وقد أولوا الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
"إذا رأيتم المداحين فاحثوافي وجوههم التراب" قال العتبي هو المدح الباطل والكذب.
وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به، ومما يعضد هذا أن العباس بن عبد المطلب
وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت، وغيرهم، مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا.
وقيل في حثو التراب معنيان: أحدهما التغليظ في الرد عليه، والثاني يقال له: بفيك
التراب.
وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى بكثير منهم
إلى الكفر والخروج عن الحد أعاذنا الله من ذلك، وقال أنو شروان: من أثنى عليك بما لم
توله فغير بعيد أن يذمك بما لم تحبه. وقال وهب بن منبه: من مدحك بما ليس فيك، فلا
تأمن أن يذمك بما ليس فيك.
وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان:

دع ذا وعد القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به لنوائل الأرحام والصهر
ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر

فقال عمر رضي الله عنه: ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ولما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة، قالت عائشة رضي الله عنها وهو
يغمض:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فنظر إليها وقال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقال آخر:

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلةً ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة ولو كنت يوما كنت تعريسة الفجر

وقال محمد بن هانيء:
أغير الذي قد خط في اللوح أبتغي مديحا له إني إذا لعنود
وما يستوي وحيٌ من الله منزل وقافيةٌ في الغابرين شرود
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمتمم بن نويرة صف لي أخاك فإني أراك تمدحه،
فقال: كان أخي يحبس المزاد بين الصوحين في الليلة القرة معتقلا للرمح الخطل، عليه الشملة
القلوب، يقود الفرس الحرون فيصيح ضاحكاً مستبشراً:
الخطل: الطويل المضطرب،
والقلوب: التي لا تنضم على الرحل لقصرها.
وسأل عبد الله بن عباس صعصعة بن صوحان العبدي عن إخوته فقال: أما زيد فكما
قال أخو عبس.
فتى لا يبالي أن يكون بوجهه إذ نال خلان الكرام شحوب
ثم قال: كان والله يا ابن عباس، عظيم المروءة، شريف الأبوة، جليل القدر، بعيد الشر،
كميش العروة، زين الندوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الفكر، ذاكراً لله تعالى في
طرفي النهار وزلفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا منافس في الدنيا، ولا غافل عن
الآخرة، يطيل السكوت، ويديم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق، ليس في
قلبه غير ربه، ولا يهمه غير نفسه، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل سبقه عضو منه إلى
الجنة؟ رحم الله زيدا! فأين كان عبد الله منه؟ فقال: كان عبد الله سيدا شجاعاً،
شيخاً مطاعاً، خيره وساع، وشره دفاع. لين النحيزة، أحوذي الغريزة، لا ينهنهه منهنه عما
أراد، ولا يركب إلا ما اعتاد، سمام العدى، فياض الندى، صعب المقادة، جزل الرفادة.
أخو إخوان، وفتى فتيان، ثم أنشد شعر حسان بن ثابت:
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطاتٍ لا يرى بينها فصلا
قضى فشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القوم جداً ولا هزلا
ودخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية بن أبي سفيان فقال له: صف لي علياً فقال
له: أو تعفيني؟ فقال: لا أعفيك؟ قال: أما إذ لا بد، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى،
يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة نواحيه، يستوحش من
الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه،

ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان والله كأحدنا يدنينا
إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبةً له، فإن تبسم
فعن مثل لؤلؤ منظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس
الضعيف من عدله.
وذكر عمرو بن معد يكرب بني سليم فقال: بارك الله على حي بني سليم ما أصدق في
الهيجاء لقاءها! وأثبت في النوازل بلاءها! وأجزل في النائبات عطاءها! والله لقد قابلتهم
فما أجبتهم، وهاجيتهم فما أفحمتهم، وسألتهم فما أبخلتهم.
وقال بعض العرب: فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشية النزول.
وقال آخر: فلان ليثٌ إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى. وسم إذا أردى.
ودخل على النعمان بن المنذر بن امريء القيس ابن عمرو بن عدي اللخمي فحياه بتحية
الملوك ثم قال: أيفاخرك ذو فائش وأنت سائس العرب، وعروة الحسب والأدب، لأمسك
أيمن من يومه! ولعبدك أكرم من قومه، ولقفاك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يمينه،
ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك أثلج من رفده، ولخالك أشرف من جده، ولنفسك أمنع
من جنده، وليومك أزهر من دهره، ولفترك أبسط من شبره، ثم قال:

أخلاق مجدك جلت مالها خطر في البأس والجود بين الحلم والخفر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
إذا دجا الخطب جلاه بصارمه كما يجلي زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سروراً، ثم أمر أن يحشى فوه داروكسي أثواب الرضى وكانت حباب
أطواقها الذهب بقصب الزمرد. ثم قال النعمان: هكذا فليمدح الملوك. وذو فائش: هو
سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يحصب بن مالك وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله
بالنعمان، وله فيه مدائح كثيرة فاقتص الله تعالى من النعمان ابن المنذر بعد ذلك لما حكي
أنه دخل حسان بن ثابت على الجفني فقال: انعم صباحا أيها الملك! السماء غطاؤك،

والأرض وطاؤك، ووالدي ووالدتي فداؤك، أنى ينافسك ابن المنذر؟ فوالله لقذالك أحسن
من وجهه، ولأمك خير من أبيه، ولظلك خير من شخصه، ولصمتك أبلغ من كلامه،
ولشمالك خير من يمينه، ثم قال:

قذاك أحسن من وجهه وأمك خيرٌ من المنذر
ويسر يديك إذا أعسرت كيمني يديه فلا تمتري

أخذ المعنى الحسن بن هانيء فقال:

بأبي أنت من غزالٍ غرير بذ حسن الوجوه حسن قفاكا

ونظر بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال يمدح زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور أم
الأمين:

أزبيدة ابنة جعفر طوبي لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليوقعوا به فقالت زبيدة: كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً، ومن
أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب، إنه سمع الناس يقولون: قفاك أحسن من
وجه غيرك، وشمالك أندى من يمين سواك، فقدر أن هذا مثل ذاك، أعطوه ما أمل، وعرفوه
ما جهل، ومثله: مدح شاعرُ أميرا فقال:

أنت الهمام ابن الهما م الواسع ابن الواسعه

فقال له: من أين عرفتها؟ قال: قد جربتها فقال: أسوأ من شعرك، ما أتيت به من عذرك!

قال دخل خالد بن عبد الله العنبري على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال: يا أمير
المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زينتها، ومن يكن شرفته فقد شرفتها، وأنت كما
قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز: أعطي صاحبكم مقولا، ولم يعط معقولا. ولما دخل عبد الله
المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم: يا أمير المؤمنين! بارك الله لنا في
مقدمك، وزادك في نعمتك، وشكرك على رعيته، تقدمت من قبلك، وأتعبت من بعدك،
وأيأست أن نعاين مثلك، أما فيمن مضى فلا نعرفه، وأما فيمن بقي فلا نرجوه، فنحن
جميعا ندعو لك، ونثني عليك. خصب لنا جنابك، وعذب شرابك، وحسنت نصرتك،
وكرمت مقدرتك. جبرت الفقير، وفككت الأسير، فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر:

ما زلت في البذل للنوال وإط لاق لعان بجرمه علق
حتى تمنى البراء أنهم عندكم أمسوا في القد والحلق
وقال رجل للحسن بن سهل: لقد صرت لا أستكثر كثيرك، وإن قيلك أكثر من كثير
غيرك. وقال الرشيد لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئاً؟
قال: يا أمير المؤمنين!
المديح كله دون قدرك، والشعر فيك فوق قدري. ولكني أستحسن قول العتابي:
ماذا عسى مادح يثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
فت الممادح إلا أن ألسننا مستنطقات بما تخفي الضمائير!
وقال رجل في خالد بن صفوان: قريع المنطق، جزل الألفاظ، عربي اللسان، قليل الحركات،
حسن الإشارات، حلو الشمائل، كثير الطلاوة، صموتا قؤولا، يهنأ الجرب، ويداوي الدبر،
ويك المحز، ويطبق المفصل، لم يكن بالزمر في مروءته، ولا بالهذر في منطقه، متبوعا غير تابع،
كأنه علم في رأسه نار.
وقيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ليستعد به، فلو أمرت به أن
يصعد المنبر فجاءة لافتضح، قال: فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة، فمنها:
الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر، فأما الأسد الخادر، فأشبه
منه صولته ومضاؤه. وأما البحر الزاخر، فأشبه منه جوده وعطاؤه. وأما القمر الباهر،
فأشبه منه نوره وضياؤه. وأما الربيع الناضر، فأشبه منه حسنه وبهاؤه، ثم نزل.
وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك، فقال: يبقيك الله تعالى يا أمير
المؤمنين! قال: تكلم بحاجتك، فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين. قال: والله يا
أمير المؤمنين! ما أستقصر أجلك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك، وإن عطاءك
لشرف، وإن سؤالك لزين، وما بامريء بذل إليك وجهه نقص ولا شين، فأحسن جائزته
وأكرمه.
وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة: ما رأيت وجها أسمح، ولا حلما أرجح، ولا

سجية أسمع، ولا بشرا أبدى، ولا كفاً أندى، ولا غرة أجمل، ولا فضيلة أكمل، ولا خلقاً
أصفى، ولا وعدا أوفى، ولا ثوباً أطهر، ولا سمتا أوفر، ولا أصلا أطيب، ولا رأيا أصوب،
ولا لفظاً أعذب، ولا عرضا أنقى، ولا بناء أبقى، مما خص الله به ثالث القمرين، وسراج
الخافقين، وعماد الثقلين المعتصم بالله.
وقال بعض الكتاب: إن من النعمة على المثنى عليك أن لا يخاف الإفراط، ولا يأمن
التقصير، ولا يحذر أن يلحقه نقيصه الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية، إلا وجد في
فضلك عونا على تجاوزها. ومن سعادة جدك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايعين له،
والمؤمنين معه.
وقال آخر: إني فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر
الذي لا يخفي على كل ناظر، وأيقنت أني حيث انتهى بي القول إلى العجز مقصرٌ عن الغاية
فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك.
وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر في أولها: حجب الله عن
الحاجب المظفر أعين النائبات، وقبض دونه أيدي الحادثات، فإنه مذ كان أنور من الشمس
ضياءً، وأكمل من البدر بهاءً وأندى من الغيث كفاً، وأحمى من الليث أنفا، وأسخى من
البحر بنانا، وأمضى من النصل لسانا، وأنجبه المنصور فجرى على سننه، وأدب فأخذ
بسننه، وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة إليه مصروفة، قصرت الأوهام عن كنه
فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله، غير أن الفضائل لا بد من نشرها، والمكارم لا
عذر في ترك شكرها.
فهذه نبذة كافية مما ورد في المنثور فلنذرك ما ورد من المنظوم في ذلك.
قال أبو هلال العسكري: سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول: امدح بيت
قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة مدح عمرو بن هند:

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتب
هو الشمس وافت يوم سعدٍ فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب
وقال نصيب:
هو البدر والناس الكواكب حوله وهل يشبه البدر المضيء كواكب
وقالوا: أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة:
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأي عنك واسع
وقوله: أخلاق مجدك الأبيات وقد تقدمت وقد تداول الناس قول النابغة:
فإنك كالليل الذي هو مدركي
فقال الفرزدق:
فلو حملتني الريح ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدركته مقادره
وقول النابغة أبلغ، لأن الليل أعم من الريح، والريح يمتنع منها بأشياء، والليل لا يمتنع منه
بشيء. وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال:
فأنت كالدهر مبثوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب
وقالوا: أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين قول أبي
العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده:
نبو المصطفى هارون حول سريره فخير قيامٍ حوله وقعود
تقلب ألحاظ المهابة بينهم عيون ظباءٍ في قلوب أسود
وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمحان القيني:
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكبٌ بدا كوكب يأوي إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مستودٌ تسير المنايا حيث سارت كتائبه
وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بجير بن أوس بن حارثةٍ، ابن لأمٍ الطائي، وكان أسيرا في
يده، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جز ناصيته، وأول القصيدة:
إذا قيل أي الناس خيرٌ قبيلةً وأصبر يوما لا تواري كواكبه
فإن بني لأم بن عمرو أرومة علت فوق صعبٍ لا تنال مراتبه
أضاءت لهم أحسابهم الأبيات.
ومثله قول ابن أبي السمط:
فتى لا يبالي المدلجون بنوره إلى بابه أن لا تضيء الكواكب
له حاجبٌ من كل أمرٍ يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب
ومثله قول الحطيئة:

نمشي على ضوء أحساب أضأن لنا كما أضاءت نجوم الليل للساري
ومثله قول الآخر:
وجوهُ لو أن المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال عيسى بن أوس يمدح الجنيد بن عبد الرحمن:
إلى مستنير الوجه طال بسؤددٍ تقاصر عنه الشاهق المتطاول
مدحتك بالحق الذي أنت أهله ومن مدح الأقوام حقٌ وباطل
يعيش الندى ما دمت حياً فإن تمت فليس لحي بعد موتك طائل
وما لامرىء عندي مخيلة نعمةٍ سواك وقد جادت على مخائل
وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى:
فتًى لو ينادي الشمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم.
ومثله في الغلو قول طريح بن إسماعيل:
لو قلت للسيل دع طريقك وال موج عليه كالهضب يعتلج
لارتد أو ساخ أو لكان له في جانب الأرض عنك منعرج
ومن الغلو قول أبي تمام في المعتصم بالله:
بيمن أبي إسحاق طالت يد العلي وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتقي الله سائله
وقال العسكري:
وكيف يبيت الجار منك على صدًى وكفك بحرٌ لجة الجود ساحله
وقال أبو هلال العسكري يرفعه إلى الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يقول: إنكم معاشر أهل
الحضر، لتخطئون المعنى، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول:
كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول: كأنها الشمس، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم
أشبه؟ ثم قال: والله لأنشدنك شعراً يكون لك إماما. ثم أنشدني:
إذا سألت الورى عن كل مكرمةٍ لم تلف نسبتها إلا إلى الهول
فتى حوادا أعار النيل نائله فالنيل يشكر منه كثرة النيل
والموت يرهب أن يلقى منيته في شدة عند لف الخيل بالخيل

لو عارض الشمس ألفى الشمس مظلمةً أو زاحم الصم ألجاها إلى الميل
أو بارز الليل غطته قوادمه دون الخوافي كمثل الليل في الليل
أمضي من النجم إن نابته نائبةٌ وعند أعدائه أجرى من السيل
ومثله قول الآخر:
علم الغيث الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسد
فله الغيث مقرٌ بالندى وله الليث مقرٌ بالجلد
وقال أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جدعان:
أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا مساء
فأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تيمٍ وأنت لها سماء
ونحوه قوله:
لكل قبيلة شرفٌ وعزٌ وأنت الرأس تقدم كل هاد
وقال ابن الرومي:
قوم يحلون من مجدٍ ومن شرفي ومن غناء محل البيض واليلب
حلوا محلهما من كل جمجمة نفعا ودفعا وإطلالا على الرتب
قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنبٌ ومن يمثل بين الرأس والذنب
وقال أبو هلال العسكري:
فابشر فإنك رأس والعلي جسدٌ والمجد وجهٌ وأنت السمع والبصر
لولاك لم تك للأيام منقبةٌ تسمو إليها ولا للدهر مفتخر
وقال علي بن جبلة:
لولا أبو دلفٍ لم تحى عارفةٌ ولم ينؤ نوء مأمولٍ بآمال
يا بن الأكارم من عدنان قد علموا وتالد المجد بين العم والخال
وناقل الناس من عدمٍ إلى جدةٍ وصارف الدهر من حالٍ إلى حال
أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتمسك الأرض عن خسفٍ وزلزال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بآمالٍ وآجال
تزور سخطا فتمسي البيض راضيةً وتستهل فتبكي أوجه المال
وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول زهير:
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
وعاب بعضهم هذا البيت وقال: جعل الممدوح يفرح بغرضٍ يناله، وليس هذا صفة كبير
الهمة، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي:
ولئن فرحت بما ينيلك إنه لبما ينيلك من نداه أفرح
ما زال يعطي ناطقا أو ساكتا حتى ظننت أبا عقيلٍ يمزح

ومثله قوله أبي تمام:
أسائل نصرٍ لا تسله فإنه أحن إلى الإرفاد منك إلى الرقد
وقالوا: أمدح بيت قالته العرب قول الحطيئة:
متى تأته تعشو إلى ضوء تجد خير نار عندها خير موقد
وقال القاسم بن حنبل:
من البيض الوجوه بني سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضاءوا
لهم شمس النهار إذا استقلت ونورٌ لا يغيبه العماء
هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجدٍ ومكرمةٍ دنت لهم السماء
وقالوا أيضا: أمدح بيتٍ قيل قول الأول أيضا:
قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومُ بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعمٍ لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا
وقالوا: أمدح بيتٍ قاله محدث، قول مروان بن أبي حفصة في معن ابن زائدة:
بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبل
هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وقال العسكري: وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو استعمل الإنصاف
لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر وهو:
إذا أبو أحمدٍ جادت لنا يده لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضأت لنا أنوارغرته تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يكن حذراً من حد صولته لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلوٌ إذا أنت لم تبعث مرارته فإن أمر فحلوٌ عنده الصبر
سهل الخلائق إلا أنه خشنٌ لين المهرة إلا أنه حجر
لا حيةٌ ذكرٌ في صولته إن صال يوما ولا الصمصامة الذكر
إذا الرجال طغت آراؤهم وعموا بالأمر رد إليه الرأي والنظر
الجود منع عيانٌ لا ارتياب به إذ جود كل جوادٍ عنده خبر
وقال: ومن المديح القليل النظير، قول علي بن محمد الأفوه:
أوفوا من المجد والعلياء في قللٍ شم قواعدهن البأس والجود

سبط اللقاء إذا شميت مخائلهم بسل اللقاء إذا صيد الصناديد
محسدون ومن يعلق بحبلهم من البرية يصبح وهو محسود
وقالوا: أمدح بيت قاله محدث قوله علي بن جبلة في أبي دلف:
إنما الدنيا أو دلفٍ بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلفٍ ولت الدنيا على أثره
وهي من القصائد المشهورة، وأولها:
ذاد ورد الغي عن صدره وارعوي واللهو من وطره
جاء منها في مدحه:
يا دواء الأرض إن فسدت ومجير اليسر من عسره
كل من في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منه مكرمةً يكتسيها يوم مفتخره
إنما الدنيا أبو دلف ....
قال العسكري: ومن المديح البارع قول بشار:
ألا أيها الطالب المبتغي نجوم السماء بسعي أمم
سمعت بمكرمة ابن العلاء فأنشأت تطلبها لست ثم
إذا عرض الهم في صدره لها بالعطاء وضرب البهم
فقل للخليفة إن ختمه نصيحا ولا خير من المتهم
إذا أيقظتك جسام الأمور فنبه لها عمراً ثم نم
فتًى لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء فيغدو على نعمٍ أو نقم
قال ومن المديح القليل النظير: قول أمامة بنت الجلاح الكلبية:
إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدي وكل يماني
وفي بهم جودا وحلما وسؤدداً وباساً، فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالي وجهه القمران
أغر أبر ابني نزار ويعربٍ وأثقهم عقدا بقول لسان
وأوفاهم عهداً وأطولهم يدا وأعلاهم فعلا بكل مكان
وأضربهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايابكفه سحابان مقرونان مؤتلفان
ومن المديح البارع قول أبي تمام:
رأيت لعياش خلائق لم تكن لتكمل إلا في اللباب المهذب
له كرمٌ لو كان في الماء لم يغض وفي البرق ما شام امرؤ برق خلب
أخو عزماتٍ بذله بذل محسنٍ إلينا ولكن عذره عذر مذنب
يهولك أن تلقاه في صدر محفلٍ وفي نحر أعداْ وفي قلب موكب
وما ضيق أقطار البلاد أضافني إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي بنات المدح فاجرر ذيولها عليك وهذا مركب الحمد فاركب
وقد أحسن التنوخي في قوله:

وفتية من حميرس حمر الظبى بيض العطايا حين يسود الأمل
شموس مجدٍ في سموات علًي وأسد موتٍ بين غاباتٍ أسل
وقالت الخنساء في أخيها صخر:
طويل النجاح رفيع العما د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا
فكلفه القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
ترى الحمد يهوي إلى بيته يرى أفضل الكسب أن يحمدا
قال آخر:
ومصعدٍ هضبات المجد يطلعها كأنه لسكون الجأش منحدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده له طريقٌ إلى العلياء مختصر
وقال إبراهيم بن العباس:
تلح السنون بيوتهم وترى لها عن بيت جارهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم مستشرقين لراغبٍ أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم نهب العفاة ونزهة للراغب
وقال أيضا:
إذا السنة الشهباء مدت سماءها مددت سماءً دونها فتحلت
وعادت بك الريح العقيم لدى القرى لقاحا فدرت عن نداك وطلت
وقال ابن الرومي:
كأن مواهبه في المحو ل آراؤه عند ضيق الحيل
فلو كان غيثاً لعم البلاد ولو كان سيفا لكان الأجل
ولو كان يعطي على قدره لأغنى النفوس وأفنى الأمل
وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم ذكر بعضها
لابن أبي طاهر:
إذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضأت لنا أنوار غرته تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن بدا رأيه أو جد عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر
ينال بالظن ما كان اليقين به والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده يدري عواقب ما يأتي وما يذر
وقال ذو الرمة:
يطيب تراب الأرض إن نزلوا بها ويختال أن تعلو عليها المنابر
وما زلت تسمو للمعالي وتجتني جنى المجد مذ شدت عليك المآزر
إلى أن بلغت الأربعين فألقيت إليك جماهير الأمور الأكابر
فاحكمتها لا أنت في الحكم عاجز ولا أنت فيها عن هدى الحق جائر
وقال الشريف الرضى:
يا مخرس الدهر عن مقالته كل زمان عليك متهم

شخصك في وجه كل داجية ضحًى وفي كل مجهل علم
وقال أبو الحسن السلامي:
إذا زرته لم تلق من دون بابه حجابا ولم تدخل عليه بشافع
كماء الفرات الجم أعرض ورده لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جئته متهللا تهلل أبكار الغيوث الهوامع
وقال محمد بن الحسين الآمدي:
من القوم لما استغرب المجد غيرهم من الناس أمسوا منه فوق الغرائب
إذا سالموا كانوا صدور مراتب وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الريح شأوه كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبحر ندًى لو زاره البحر حدثت عجائبه عن فعله بالعجائب
وقال الأصمعي: كنت بالبادية فرأيت امرأةً على قبر تبكي وتقول:
فمن للسؤال ومن للنوال ومن للمقال ومن للخطب
ومن للحماة ومن للكماة إذا ما الكماة جثو للركب
إذا قيل مات أبو مالك فتى المكرمات قريع العرب
فقد مات عز بني آدم وقد ظهر النكد بعد الطرب
قال: فملت إليها، وسألتها عنه، فقالت: فديتك! هذا أبو مالك الحجام، ختن أبي منصور
الحائك، فما ظننت إلا أنه من سادات العرب.
وقال العماد الأصفهاني:
حييون يخفون إحسانهم ويعتذرون كان قد اساءوا
إذا أظلم الدهر أعدوا عليه وإن أظلم الخطب يوما أضاءوا
بمثلكم قد أقر الرجال فمثلكم لم تلده النساء
وللناس من حسن أيامكم بدولتكم كل يوم هناء
وقال أيضا:
فلأطوين على أغر محجل عرض الفلاة إلى أغر محجب
ليث الوغى غوث الورى غيث الندى بدر الندى نعم وصدر الموكب
وإذا استوى في دسته مالت له أعناق كل متوج ومعصب
وتميت رأفته حقود عداته وتحل هيبته عقود المحتبى
إن الممالك ما تزال برأيه في صائب وبجوده في صيب
يحبوك معتذرا إليك فيا له من محسن تعروه خجلة مذنب
يزهى بأصلٍ في العلاء مخيمٍ شرفا وفرعٍ بالكرام مطنب
وقال أحمد بن محمد النامي:
له سورة في البشر تقرأ في العلا وتثبت في صحف العطاء وتكتب
إذا ما عليٌّ أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلب

وأزهر يبيض الندى منه في الرضا وتحمر أطراف القنا حين يغضب
أمير الندى ما للندى عنك مذهبٌ ولا عنك يوما للرغائب مرغب
وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي:
سيدٌ شادت علاه له في العلا آباؤه النجب
وله بيتٌ يمد له فوق مجرى الأنجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرفاً وعليٍّ حين ينتسب
رتبةٌ في العز شامخةٌ قصرت عن مثلها الرتب
وقال ابن نباتة السعدي:
يرى الشمس أما والكواكب إخوةً وينظر من بدر السماء إلى ترب
غنيت عن الآمال حين رأيته وأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفه وهل تطلب الأمطار إلى من السحب
وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي:
لو نيل بالمجد في العلياء منزلةٌ لنال بالمجد أعنان السموات
يرمى الخطوب برأيٍ يستضاء به إذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس يلقاه إلا عند عارفة أو واقفا في صدور السمهريات
وقال أبو طالب المأموني:
قد وجدنا خطا الكلام فساحا فجعلنا النسيب فيك امتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض ال مدح قبل النسيب فيك انفساحا
وعمدنا إلى علاك فصغنا لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بي ض مساعيك بالندى أوضاحا
كم كسيرٍ جبرته وفقيرٍ مستميح رددته مستماحا
وأمانٍ خرسٍ بسطت لها في ال قول حتى أعدتهن فصاحا
وبلادٍ جوامحٍ رضتها بال عزم حتى أنسيتهن الجماحا
شهرت منكَ آل سامان عضبا ينجح السعي غربه إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاءً أن يرى طيف مستميح رواحا
وقال أحمد بن محمد النامي:
أمير العلا إن العوالي كواسبٌ علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول سيفك في الطلى وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلا وقولك للتقوى وكفك للرفد
وقال أيضا:
فتى قسم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردى وبيض يوما بالفضائل والحمد
وقال الصاحب بن عباد:

أيها الآملون حطوا سريعا برفيع العماد واري الزناد
فهو إن جاد ذم حاتم طيءٍ وهو إن قال فل قس إياد
وإذا ما ربا فأين زيادٌ من علاه وأين آل زياد
وقال أبو طالب المأموني من قصيدة:
فتًى ملئت بردتاه علاً ونبلا وفضلاً ومجداً وخيرا
إذا ضمه الدست ألفيته سحاباً مطيراً وبدراً منيرا
وإن أبرزته وغًى خلته حساما بتورا وليثا هصورا
وطورا معيدا وطورا مبيدا وطورا مجيرا وطورا أميرا
ترى في ذراه لسان المنى طويلا وباع الليالي قصيرا
تضم الأسرة منه ذكاءً وتحمل منه المذاكي ثبيرا
وقال أبو الطيب المتنبي:
بمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة:
قد حل في مدرج العلياء مرتبةً مطامح الشهب عن غاياتها تقف
أغري بوصف معاليه الورى شغفاً لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبته العدا فالدهر معتذر أو أنكروا فضله فالمجد معترف
وقال السلامي شاعر اليتيمة:
يزور نائلك العافي وصارمك ال عاصي فتحويهما أيدٍ وأعناق
في كل يوم لبيت المجد منك غنًى وثروةٌ ولبيت المال إملاق
كم خضت من لجةٍ للنفع زاخرة ماء المنون بها حاشاك دفاق
وقال المتنبي:
أنت الجواد بلا من ولا كدرٍ ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا ملل
وقال أبو الفرج الببغاء:
لا غيث نعماه في الورى خلب ال برق ولا ورد جوده وشل
جاد إلى أن لم يبق نائله مالاً ولم يبق للورى أمل
وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة:
ومن عودته المكرمات شمائلا فليس له عنها ولو شاء ناقل
وإن راسل الأعداء فالجود رسله إليهم وأطراف العوالي الرسائل
عظمت فهذا الدهر دونك همةً وجدت فهذا القطر عندك باخل
وقال مؤيد الدين الطغرائي:
لو دب رأيك في كعوب قناً ما مسها طنبٌ ولا خلل
أو كان ضوءك للغزالة لم يحجب ضياء جبينها الطفل
أو كان لطفك في الحياة لما طافت بها الأسقام والعلل
أنت الذي لولا علاه عفت طرق الهدى واستبهم السبل
في كل شعبٍ من رويته شعبٌ ومن آرائه شعل

يرتد عنه جفن حاسده فكأنه بالنار يكتحل
وجهٌ كيوم الصحو مبتسمٌ ويدٌ كليل الدجن تنهمل
مسحت على الأنواء راحته فانساق منها العارض الهطل
إن ضن غيثٌ أو خبا قمرٌ فجبينه ويمينه البدل

وقال ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصائحٌ تجلو الدجى والأخريات رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي:

قومٌ بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الكماة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرم
إذا تولوا عداوةً كشفوا وإن تولوا صنيعة كتموا
تظن من كثرة اعتذارهم أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم
أو شهدوا الحرب لاقحا أخذوا من مهج الدار عين ما احتكموا
أو ركبوا الخيل غير مسرجةٍ فإن أفخاذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم
أعيذكم من صروف دهركم فإنه في الكرام متهم

وقال أيضا:

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يبتغون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمام

وقال أيضا:

هم المحسنون الكر في حومة الوغى وأحسن منه كرهم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ولكنها معدودةٌ في البهائم

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة:

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي إذا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى وحق العطايا كان أو قائم
يزيد ابتهاجا كلما زار قاصد كأن به شوقاً إلى كل قادم

وقال السلامي شاعرها:

تشبهه المداح في البأس والندى بمن لو رآه كان أصغر خادم
ففي جيشه خمسون ألفا كعنترٍ وأمضى وفي خزانة ألف حاتم

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة:

يعمم بالهندي حين يسله أسود الوغى بالضرب فوق العمائم
فلا ملك إلا ما أقمت عروشه ولا غيث إلا ما أفضت لشائم
ولا تاج إلا ما توليت عقده على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرأيك نجمٌ في دجى الليل ثاقبٌ وعزمك عضبٌ في طلى كل ناجم

وقال المشوق الشامي:

ما زال يبني كعبةً للعلى ويجعل الجود لها ركنا

حتى أتى الناس فطافوا بها وقبلوا راحته اليمنى
وقال المأموني من قصيدة:
همام يبكي المشرفية ساخطا ويضحك أبكار الأماني راضيا
ولو أن بحرا يستطيع ترقياً إليه لأم البحر جدواه راجيا
ما قيل في الافتخار
قالوا: أفخر بيت قالته العرب قول جرير:
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال: دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له: ممن الرجل؟ قال: من
الذين قال لهم الشاعر:
إذا غضبت عليك بنو تميم، البيت.
قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول فيهم القائل:
يزيد بنو سعدٍ على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها
قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:
بنات بني عوفٍ طهارى نقية وأوجههم عند المشاهد غران
قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:
فلا وأبيك ما ظلمت قريعٌ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من الذين يقول لهم الشاعر:
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يستوي بأنف الناقة الذنبا
قال: اجلس، لا جلست، والله لقد خفت أن تفخر علي!
وقالوا: أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق:
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا!
وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلي في الافتخار:
ونحن الحاكمون إذا أطعنا ونحن العائفون إذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وقال إبراهيم بن العباس:
إما تريني أمام القوم متبعاً فقد أرى من وراء الخيل أتبع
يوما أبيح فلا أرعى على نشب وأستبيح فلا أبقي ولا أدع
لا تسألي القوم عن حي صبحتهم ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا
وقالوا: من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة:
وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي بمهتضمٍ حقي ولا قارعٍ سني
ولا مسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجنى
وأن فؤادي بين جنبي عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفضلني في الشعر واللب أنني أقول على علمٍ وأعلم ما أعني

فأصبحت إذ فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

وقال أبو هفان:

لعمري لئن بيعت في دار غربةٍ بناتي إذ ضاقت علي المآكل
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاطل

قال أبو هلال العسكري، ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو:

فقل لزهير إن شتمت سراتنا فلسنا بشتامين للمتشتم
ولكننا نأبى الظلام ونقتضي بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

ومن الافتخار قول السموءل بن عاديا من كلمته التي أولها:

إذ المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
وقائلةٍ ما بال أسرة عاديا تنادي وفيها قلةٌ وحمول
تعيرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شبابٌ تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وأنا أناس لا نرى القتل سبةً إذا ما رأته عامرٌ وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيدٌ حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا إناثٌ أطابت حملنا وفحول
علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول
فنحن كماء المزن ما في نصابنا كهامٌ ولا فينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد قؤولٌ لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا لها غررٌ معلومة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغربٍ بها من قراع الدارعين فلول
معودةً أن لا تسل نصالها فنغمد حتى يستباح قبيل
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم وليس سواء عالمٌ وجهول
فإن بني الديان قطبٌ لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة:

وما ضاع مثلى حيث حلت ركابه بل حيث ضاع المجد مثلى ضائع
ومثلى مخضوعٌ له غير أنه إذا كان مجهول الفضائل خاضع
ومثلى متبوعٌ على كل حالة فإن ينقلب وجه الزمان فتابع

وقال عبد الله بن المعتز:

سألتكما بالله هل تعلمانني ولا تكتما شيأ فعندكما خبري

أأرفع نيران القرى لعفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسأل نيلا لا يجاد بمثله فيفتحه بشرى ويختمه عذري
ومن الافتخار قول بعض الشعراء، ويروي حسان بن ثابت من قصيدة أولها:
أنسيم ريحك أم خيار العنبر يا هذه أم ريح مسكٍ أزفر
قولي لطيفك أن يصد عن الحشى سطوات نيران الأسى ثم اهجري
وانهي رماتك أن يصبن مقاتلي فينال قومك سطوةٌ من معشري
إنا من النفر الذين جيادهم طلعت على كسرى بريح صرصر
وسلبن تاجي ملك قيصر بالقنا واجترن باب الدرب لابن الأصفر
كم قد ولدنا من كريمٍ ماجدٍ دامي الأظافر أو ربيع ممطر
خلقت أناملة لقائم مرهفٍ ولبذل مكرمة وذروة منبر
يلقي الرماح بوجهه وبصدره ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا فهدمت ركن المجد إن لم تصبر
وإذا تأمل شخص ضيفٍ مقبلٍ متسربلٍ سربال ثوبٍ أغبر
أوما إلى الكوماء هذا طارقٌ نحرتني الأعداء إذ لم تنحر
الجود والكرم وأخبار الكرام
حقيقة الجود بذل المال، قال الله عز وجل: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" وقال
تعالى: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون" وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله استخلص هذا
الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما" وقال صلى
الله عليه وسلم : "تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله عز وجل آخذ بيده كلما عثر وفاتحٌ
له كلما افتقر" وقال صلى الله عليه وسلم: "الجود من جود الله تعالى فجودوا بجود الله
عليكم" . "ألا أن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن
منها أدخله الجنة" . "ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة". وقال علي بن عبد الله
بن عباس: سادة الناس في الدنيا الأسخياء. وقال بعض الحكماء: الجواد من جاد بماله
وصان نفسه عن مال غيره. وقيل لعمرو بن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك
متبرعا، وعن مال غيرك متورعا. ويقال: مراتب السخاء ثلاثة: سخاء وجودٌ وإيثارٌ،

فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل، والإيثار إعطاء
الكل من غير إمساك بشيء، وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا ثناء الله عز وجل
عليهم في قوله: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ". ومن كلامٍ ينسب إلى جعفر
بن محمد: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وستره. الجود زكاة السعادة،
والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم، وقال: لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل
منه. قال بعض الشعراء:

أعط القليل ولا يمنعك قلته فكل ما سد فقراً فهو محمود

وقال علي بن الحسين: الكريم يبتهج بفضله، واللئيم يفتخر بماله.
وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل،
وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه. وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ قال: أن تعطي
المال من لا تعرف، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف.
وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: لو لم يكن في الكرم، إلا أنه صفة من صفات الله تعالى،
تسمى بها فهو الكريم عز وجل. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم كريم
قوم فأكرموه". وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: إن الله عز
وجل قد عودني بعادة أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عباده، وأخاف أن أقطع
العادة فيقطع عني. وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: إنك متلاف، قال: منع الجود، سوء
ظن بالمعبود. قال الله تعالى: "وما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين". وقال
أكثم بن صيفي حكيم العرب: ذللوا أخلافكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها
المكارم، ولا تقيموها على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم وتحلوا بالجود
يكسبكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل، لتعجلوا الفقر، أخذه الشاعر فقال:

أمن خوف فقر تعجلته وأخرت إنفاق ما تجمع

فصرت الفقير وأنت الغني وما كنت تعدو الذي تصنع

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوفه الفقر،

فأجابه: "الشيطان يعد كم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعد كم مغفرةً منه وفضلاً" وإني
أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع.
وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: من رزقه الله رزقا حسنا، فلينفق منه سرا
وجهرا، حتى يكون أسعد الناس به، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين، إما لمصلح، فلا يقل
عليه شيء، وإما لمفسد، فلا يبقى له شيء. أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

اسعد بمالك في الحياة فإنما يبقي خلافك مصلحٌ أو مفسد
فإذا جمعت لمفسد لم يغنه وأخو الصلاح قليله يتزيد

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لك في مالك شريكان الحدثان، والوارث، فإن استطعت أن لا
تكون أبخس الشركاء حظاً فافعل. وقال بزرجمهر الفارسي: إذا أقبلت عليك الدنيا، فانفق
منها، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عليك، فانفق منها، فإنها لا تبقى، أخذ الشاعر هذا
المعنى فقال:

لا بتخلن بدينا وهي مقبلةٌ فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول: عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن ظن بالله، ولو أن
أهل البخل، لم يدخل عليهم من ضر بخلهم، ومذمة الناس لهم، وإطباق القلوب على
بغضهم، إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف، لكان عظيما، أخذه محمود الوراق فقال:

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقيل لأبي عقيل البليغ العراقي: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟
قال: رأيت رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة، أشد من حاجة صاحبها.
وقال زياد: كفى بالبخيل عارا، أن اسمه لم يقع في حمد قط.
وقال أسماء بن خارجة: ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها، لأنه لا يخلو أن يكون
كريما، فأصون له عرضه، أو لئيما، فأصون عرضي منه.
وقال إبراهيم بن المهدي: قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجف بيده
قلم، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على

الضعفاء: أخبرني عن الحالة التي خففت عنك النصب، وهونت عليك التعب، في القيام
بحوائج الناس، ما هي؟ قال: قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار، في فروع الأشجار،
وسمعت خفق أوتاد العيدان وترجيع أصوات القيان، فما طربت من صوت قط، طربي من
ثناء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن، ومن شكر حر لمنعم حر، ومن شفاعة
محتسب، لطالب شاكر، قال إبراهيم: فقلت، لله أبوك! لقد حشيت كرما. وكان طلحة بن
عبد الله بن عوف الزهري من أجود قريش في زمانه، فقالت له امرأته: ما رأيت قوما ألام
من إخوتك، فقال لها: لمه؟ وأني قلت ذاك؟ فقالت: أراهم إذا أيسرت أتوك، وإذا
أعسرت تركوك، قال: هذا والله كرمهم، يأتوننا في حال القوة عليهم، ويتركوننا في حال العجز
عنهم.
وحكي أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكلمه في حاجة وما شاه، فوضع الشيخ زج
عصاه التي يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتى أدماها، فما تأوه لذلك، وما نهاه، فلما
فارقه، قيل له: كيف صبرت على هذا منه؟ فقال: خفت أن يعلم جنايته، فينقطع عن ذكر
حاجته.
من انتهى إليهم الجود في الجاهلية
وذكر شيء من أخبارهم
والذي انتهى إليهم الجود في الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان
المري، وكعب بن مامة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا:
هو الذي جاد نفسه، وآثر رفيقه بالماء في المفازة، ولم يشهر له خبرٌ غير هذا. وأما حاتم
فأخباره مشهورة.
منها: أنه كان إذا اشتد البرد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا في بقاع من الأرض، لينظر إليها
من ضل عن الطريق، وفي ذلك يقول:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا واقد ريحٌ صر
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حرٌّ

قالوا: ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة.
قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء، وضنت

المراضع عن أولادها، لا تبض بقطرة، وأيقنا بالهلاك، فوالله، إني لفي ليلة صنبرة، بعيدة ما
بين الطرفين، إذ تضاغي صبيتنا جوعا، عبد الله، وعدي، وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين،
وقمت إلى الصبية، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعللني، فعرفت ما يريد،
فتناومت، فلما تهورت النجوم، إذا بشيء قد رفع كسر البيت، فقلت: من هذا؟ فولى، ثم
عاد آخر الليل، فقال من هذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاوون عوى
الذئاب، فما وجدت معولا إلا عليك أبا عدي، فقال: أعجليهم، فقد أشبعك الله وإياهم،
فأقبلت المرأة تحمل اثنين، ويمشي بجانبها أربع كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه،
فوجأ لبته بمدية، فخر، ثم كشط عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة، وقال: شأنك، فاجتمعنا
على اللحم نشوي، ونأكل، ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا، فيقول: هبوا عليكم بالنار، والتفع بثوبه
ناحية ينظر إلينا، لا والله إن ذاق منه مضغة وإنه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما في الأرض
إلا عظم أو حافر.
وقيل: كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود، أنه لما ترعرع، جعل يخرج طعامه فإن وجد من يأكله
معه أكله، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى أبوه، أنه يهلك طعامه، قال له: ألحق بالإبل، فخرج
إليها، فوهب له جارية، وفرسا وفلوها.
وقيل: بل هلك أبو حاتم وهو صغير، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج، فلما
أتى حاتم الإبل، طفق يبتغي الناس، فلا يجدهم، ويأتي الطريق، فلا يجد عليه أحدا، فبينا
هو كذلك، إذ بصر بركب على الطريق، فأتاهم، فقالوا: يا فتى، هل من قرًى؟ فقال:
تسألونني عن القرى؟ وقد ترون الإبل! وكان الذي بصر بهم، عبيد ابن الأبرص، وبشر بن
أبي خازم، والنابغة الذبياني، وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد:
إنما أردنا اللبن، وكانت تكفينا بكرة، إن كنت لا بد متكلفا لنا شيئا، فقال حاتم: قد
عرفت، ولكن رأيت وجوها مختلفة، وألوانا متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحد، فأردت
أن يذكر كل واحد منكم ما رأى، إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا امتدحوه بها، وذكروا

فضله، فقال حاتم: أردت أن أحسن إليكم، فصار لكم الفضل علي، وإني أعاهد الله أن
أضرب عراقيب إبلي عن آخرها، أو تقدموا إليها فتقتسموها ففعلوا! فأصاب كل واحد
تسعا وثلاثين بعيرا، ومضوا على سفرهم إلى النعمان، وأن أبا حاتم أو جده، سمع بما فعل،
فقال: أين الإبل؟ فقال: يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجدا وكرما، لا يزال الرجل يحمل
بيت شعر أثنى به علينا عوضا عن إبلك، فلما سمع أبوه ذلك، قال: أبإبلي فعلت ذلك؟
قال: نعم، قال: والله لا أساكنك أبدا، فخرج أبوه بأهله، وترك حاتما، ومعه جاريته وفرسه
وفلوه. قال: فبينما حاتم يوما نائم، إذا انتبه، وحوله نحو مائتي بعير تجول وتحطم بعضها
بعضا، فساقها إلى قومهن فقالوا: يا حاتم، أبق على نفسك، فقد رزقت مالا، ولا تعودن إلى
ما كنت فيه من الإسراف، قال: فإنها نهب بينكم، فانتهبت، ثم أقبل ركب من بني أسد
ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتما، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا، وقد
أرسلوا إليك برسالة، قال: وما هي؟ فأنشده الأسديون شعرا، لعبيد، وأنشده الليثيون
شعرا للنابغة، ثم قالوا: إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا لحاجة، قال: وما هي؟ قالوا:
صاحب لنا راجل، فقال حاتم: خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها،
وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت فاتبعته الجارية لترده، فقال حاتم: ما لحقكم من شيء
فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية.
وأما هرم بن سنان، فمن أخباره: أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه فقل
مال هرم، وكان زهير يمر بالنادي وفيه هرم فيقول: أنعموا صباحا ما خلا هرما، وخير القوم
تركت، قالوا: وكان عبد الله بن جدعان، حين كبر، أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن
يعطي شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه، قال له: ادن مني، فإذا دنا منه لطمه،
ثم قال: اذهب فاطلب لطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تميم من ماله، وفيه يقول الشاعر:

والذي إذا أشار نحوك لطماً تبع اللطم نائلٌ وعطاء

ومن أخبار الكرام: ما حكي عن خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، كان يكثر

الجلوس ثم يدعو بالبدر ويقول: إنما هذه الأموال ودائع العرب لا بد من تفرقتها، فقال ذلك
مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان، فقام، فقال أيها الأمير إن الودائع
تجمع ولا تفرق، فقال: ويحك! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المملق
فأغنيناه، والظمآن فأرويناه، فقد أدينا فيها الأمانة، ومر يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه
من سجن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة، فقدمت له عنزا فقبلها، ثم قال لابنه
معاوية: ما معك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال: ادفعها إليها! فقال له ابنه: إنك تريد
الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال: إن
كانت ترضي باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي،
ادفعها إليها، فدفعها إليها. قال الأحنف: كثرت على الديات بالبصرة، لما قتل مسعود، فلم
أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت: من المقصود هناك؟ فأرسلت إلى
قبة، فإذا شيخ جالس بفنائها، مؤتزر بشملة، محتبٍ بحبل، فسلمت عليه، وانتسبت له،
فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: توفي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب
الذي كان يحفظ العرب ويحطها؟ قلت: مات، قال: فأي خبر في حاضرتكم
بعدهما؟ قال: فذكرت الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة، قال: أقم، فإذا راعٍ قد أزاح عليه
بألف بعير، فقال: خدها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها،
فانصرفت بالألف، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة.
وروي عن معن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن
أقمت في الشمس أياما، وخففت لحيتي وعارضي، ولبست جبة صوف غليظة، وركبت
جملا، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية، قال: فتبعني أسود متقلد سيفا، حتى إذا غبت
عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض علي، فقلت: ما شأنك؟ فقال: أنت
بغية أمير المؤمنين فقلت له: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال معن بن زائدة فقلت:

يا هذا! اتق الله وأين أنا من معن؟ فقال: دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك، فقلت له:
فإن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه
بي فخذه ولا تسفك دمي، فقال: هاته، فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة، وقال: صدقت في
قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت: قل، فقال: إن
الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله!
قلت: لا، فنصفه! قلت: لا،
قال: فثلثه! قلت، لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت: إني أظن قد فعلت هذا، فقال:
ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل، ورزقي على أبي جعفر، عشرون درهما، وهذا الجوهره
قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في
الدنيا من هو أجود منك، ولا تعجبك نفسك، ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف
عن مكرمة، ثم رمى بالعقد إلي، وخلي خطام الجمل وانصرف، فقلت: يا هذا! قدو الله
فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنًى،
فضحك، ثم قال: أردت أن تكذبني في مقامي هذا، فوالله لا آخذه، ولا آخذ لمعروف ثمنا
أبدا، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له
خبرا، وكأن الأر ابتلعته، وكان سبب غضب المنصور على معن ابن زائدة: أنه خرج مع
عمرو بن يزيد بن عمرو بن هبيرة وأبلى في حربه بلاء حسنا.
ويقال: إن شاعرا أتى وهب بن وهب، وكان جوادا، فمدحه فهش وبش له وثنى له
الوسادة وأضافه ورفده وحمله، فلما أراد الرجل الرحلة، لم يخدمه أحد من غلمان وهب،
فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله، فعاتب بعضهم، فقال له الغلام: إنا إنما نعين النازل على
الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق.
وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك، وبها أصيب فاثبته الجراح، فاستسقى
ماء، فأتي به، فلما تناوله، نظر إلى عكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل حاله، فرد الإناء
على الساقي، وقال: امض إلى عكرمة بن أبي جهل، فمضى إليه، فأبى أن يشرب قبله،

فرجع إلى الحارث، فوجده ميتا، فرجع إلى عكرمة، فوجده قد مات، فلم يشرب واحد
منهما.
وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح، سنذكر ما استجودناه منها.
فمن ذلك ما حكي عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، قال: كان ببغداد
فتى يجن ستة أشهر، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم، فقال: ثعلب؟ قلت: نعم، قال:
فأنشدني فأنشدته:

وإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرفٍ سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فكذا يكون أخا دم وذبائح

فضحك، ثم سكت ساعة، وقال: ألا قال؟

اذهبا بي إن لم يكن لكما عق رٌ على ترب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا ن دمي من نداه لو تعلمان

ثم رآني يوما بعد ذلك فتأملني، وقال: ثعلب! قلت: نعم، قال: أنشدني فأنشدته.

أعار الجود نائله إذا ما ماله نفدا
وإن ليثاً شكا جبنا أعار فؤاده الأسدا

فضحك، وقال: ألا قال؟

علم الجود الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسد
فله الجود مقرٌ بالندى وله الليث مقرٌ بالجلد

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراده في الشجاعة والكرم.

يجود النفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأول من أتى بهاذ المعنى علقمة بن عبدة حيث قال:

تجود بنفس لا يجاد بمثلها فأنت بها يوم اللقاء خصيب

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني: من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء،
فقد جاد بنفسية كلتيهما. قالوا: وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية يمدح العباس بن
محمد:

لو قيل العابس يا ابن محمد قل لا وأنت مخلد ما قالها
إن السماحة لم تزل معقولةً حتى حللت براحتيك عقالها
وإذا الملوك تسايرت في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها

فلم يثبه العباس، فقال:

هززتك هزة السيف المحلى فلما أن ضربت بك انثنيت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعا كذبت عليك فيها وافتريت

فلما سمع العباس الأبيات غضب، وقال: والله لأجهدن في حتفه، قال: فمر أبو العتاهية

بإسحاق بن العباس، وقال له إسحاق: أنشدني شيئا من شعرك فأنشده:

ألا أيها الطالب المستغيث بمن لا يفيد ولا يرفد
ألا تسأل الله من فضله فإن عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤا ل رد وأحشاؤه ترعد
كأنك من خشيةٍ للسؤا ل في عينه الحية الأسود
ففر إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤم الفعال وقد أرعدوا

ثم مضى، فقيل لإسحاق: إن هذا الشعر له في أبيك، فقال إسحاق: أولى له، لم عرض
نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته؟
وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات، فقال: امتدح ربيعة الرقي العباس بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسنان وهي طويلة يقول
فيها:

لو قيل للعباس يا ابن محمدٍ قل لا وأنت مخلد ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايرت في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولةً حتى حللت براحتيك عقالها

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين، كاد أن يجن غضبا،
وقال الرسول: خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقعة، من حيث لا يدري العباس،
ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها.

مدحت مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
هبها مدحة ذهبت ضياعا كذبت عليك فيها وآفتريت
أنت المرء ليس له وفاءٌ كأني إذ مدحتك قد زنيت

ثم دفعها إلى الرسول وقال: ضعها في الموضع الذي أخذتها منه، ففعل، فلما كان من الغد،
أخذها العباس فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات، غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد،
وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته، فرأى الرشيد الكراهة
في وجهه، فقال ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقى، فأحضره الرشيد: وقال له: يا ماص
كذا وكذا من أمه أتهجو عمى، وآثر خلق الله عندي؟ لقد هممت أن أضرب عنقك،
فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد امتدحته بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد
من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر

بإحضارها فعل، فلما سمع الرشيد ذلك، سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر
العباس بإحضارها فتلكأ عليه، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين، إلا أمرت
بإحضارها؟ فأحضرت، فإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب
بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، ولقد صدق ربيعة فبر،
ثم قال العباس: كم أثبته عليها؟ فسكت العباس، وتغير لونه، وغص بريقه، فقال ربيعة:
أثابني عنها يا أمير المؤمنين دينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة عليه، فقال:
بحياتي يا رقي كم أثابك؟ فقال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين، فغضب
الرشيد غضبا شديدا، ونظر في وجه العباس، وقال: سوءة لك! أية حال قعدت بك عن
إثابته؟ أقلة مال؟ فوالله لقد نولتك جهدي، أم انقطاع المال عنك؟ فوالله ما انقطعت بك،
أم أصلك؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ لا ذنب لي، بل نفسك والله فعلت
بك ذلك، حتى فضحت أجدادك وفضحني، وفضحت نفسك، فنكس العباس رأسه، ولم
ينطق، فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم، وخلعةً، واحمله على بغلة، ثم
قال له: بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحا، وفتر الرشيد عما كان قد
هم به من أن يتزوج إليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا.

وقال محمد بن هانيء:

الواهب الألف إلا أنها بدرٌ والطاعن الألف إلا أنها نسق
تأتي عطاياه شتى غير واحدة كما تدافع موج البحر يصطفق

وقال الرضى الموسوي:

ريان والأيام ظمآنةٌ من الندى نشوان بالبشر
لا يمسك العذل يديه ولا تأخذ منه نشوة الخمر

وقال أيضا:

ذخائره العرف في أهله وخزان أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرمٌ لك الحسب المهذب والسناء
كريمٌ لا يغيره صباحٌ عن الخلق السنى ولا مساء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وقال الشماخ بن ضرار:

نزور امرأً يعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد
وأنت امرؤ من تعطه اليوم نائلا بكفك لا يمنعك من نائل الغد
ترى الجود لا يدني من المرء حتفه كما البخل والإمساك ليس بمخلد
مفيدٌ ومتلافٌ إذا ما سألته تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نارٍ عندها خير موقد
وقال: لما سمع عمر رضي الله عنه هذا البيتً، قال: كذب، تلك نار موسى عليه السلام.
وقال السري الرفاء:
كالغيث والليث والهلال إذا أقمر بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به وذاكرٌ منه كلما وعدا
وقال أبو الفرج الوأواء:
من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين اثنين
أنت إذا جدت ضاحكا أبدا وهو إذا جاد باكي العين
وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة:
لم يبق جودك لي شيئا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل
الإعطاء قبل السؤال
قال سعيد بن العاصي: قبح الله المعروف، إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة، فما المعروف
عوضٌ من مسألة الرجل، إذا بذل وجهه، فقلبه خائفٌ، وفرائصه ترعد، وجبينه يرشح، لا
يدري اريجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب، قد بات ليلته يتململ على فراشه، يعاق بين
شقيه، مرة هكذا، ومرة هكذا، من لحاجته؟ فخطرت بباله أنا أم غيري، فمثل أرجاهم في
نفسه، وأقربهم من حاجته، ثم عزم علي، وترك غيري، قد انتفع لونه، ودهب دم وجهه، فلو
خرجت له مما أملك أم أكافئه، وهو علي آمن مني عليه، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي
حظ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة.
وقال أكثم بن صيفي: كل سؤال وإن قل، أكثر من كل نوال وإن جل.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلي منكم حاجة،
فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة.
وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأملني رجل قط، إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من
ورائها.
وقال حبيب:
عطاؤك لا يفني ويستغرق المنى وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضاً:
ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي إذا أفنيته عوض
وقالوا: من بذلك إليك وجهه، فقد وفاك حق نعمته.
وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: ما الجود؟ فقال: التبرع بالمال، والعطاء قبل السؤال.
وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه:
كريمٌ على العلات جزلٌ عطاؤه ينيل وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال
وقال حبيب الطائي:
لئن حجدتك ما أوليت من كرمٍ إني لفي اللؤم أمضي منك في الكرم
أنسى ابتسامك والألوان كاسفةٌ تبسم الصبح في داجٍ من الظلم
رددت رونق وجهي في صفيحته رد الصقال صفاء الصارم الخذم
وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي
الشجاعة والصبر والإقدام
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن
يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية".
وقالوا: حد الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة.
وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال: جبلة نفس أبية، قيل له: فما النجدة؟ قال: ثقة النفس
عند استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف.
وقيل لبعضهم: ما الشجاعة؟ فقال: صبر ساعة. وقال بعض أهل التجارب: الرجال
ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذي يشد إذا شدوا، والشجاع: الداعي إلى البراز
والمجيب داعيه، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولوا.
قال يعقوب بن السكيت في كتابالألفاظ: العرب تجعل الشجاعة في أربع طبقات، تقول:
رجلٌ شجاعٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بطلٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بهمةٌ، فإذا كان
فوق ذلك، قالوا: اليس.
وقال بعض الحكماء: جسم الحرب: الشجاعة، وقلبها، التدبير، ولسانها: المكيدة،
وجناحها: الطاعة، وقائدها: الرفق، وسائقها: النصر.
قالوا: لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج، وجه كعب بن معدان إلى الحجاج، فسأله

عن بني المهلب، فقال: المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارسا شجاعا، وجوادهم
وشيخهم: قبيصةُ، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك: سمُ نافعٌ،
وحبيبٌ: موتٌ زعافٌ، ومحمدٌ: ليث غابٍ، وكفاك بالمفضل نجدة، قال: فكيف خلفت
جماعة الناس؟ قال: خلفتهم بخير، قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ما خافوا، قال: فكيف كان
بنو المهلب فيهم؟ قال: كانوا حماة السرج نهارا، فإذا أليلوا ففرسان البيات، قال: فأيهم كان
أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟
قال: كنا إذا أخذنا، عفونا، وإذا اجتهدوا، اجتهدنا فيهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين.
وقالوا: أشجع بيت قاله العرب قول العباس بن مرداس السلمي:

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

وقد مدح الشعراء الشجاعة وأهلها، وأوسعوا في ذلك، فمن ذلك قول المتنبي:

شجاعٌ كأن الحرب عاشقةٌ له إذا زارها فدته بالخيل والرجل

وقال أيضا:

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل

وقال العماد الإصفهاني:

قوم إذا لبسوا الحديد إلى الوغى لبس الحداد عدوهم في المهر
المصدرون الدهم عن ورد الوغى شقراً تجلل بالعجاج الأشهب

وقال أبو الفرج الببغاء:

واليوم من غسق العجاجة ليلةٌ والكر يخرق سجفها الممدودا
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه ردعٌ أحال بياضها توريدا
والطعن يغصب الجياد شياتها والضرب يقدح في التليل وقودا
وعلى النفوس من الحمام طلائعٌ والخوف ينشد صبرها المفقودا
وأجل ما عند الفوارس حثها في طاعة الهرب الجياد القودا
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يغن غير أبي شجاعٍ والعلا عنه تناجي النصر والتأييدا

وقال أيضا وروي البحتري:

من كل متسع الأخلاق مبتسم للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيل
يسعى به البرق إلا أنه فرسٌ في صورة الموت إلا أنه رجل
يلقى الرماح بصدرٍ منه ليس له ظهرٌ وهادي جوادٍ ما له كفل
وقال البحتري:
معشر أمسكت حلومهم الأر ض وكادت لولاهم أن تميدا
فإذا الجدب جاء كانوا غيوثا وإذا النقع ثار ثاروا أسودا
وكأن الإله قال لهم في ال حرب كونوا حجارةً أو حديدا
وقال مسلم:
لو أن قوما يخلقون منيةً من بأسم كانوا بني جبريلا
قوم إذا حمي الوطيس لديهم جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا
وقال آخر:
عقبان روع والسروج وكورها وليوث حربٍ والقنا آجام
وبدور تم والشوائك في الوغى هالاتها والسابري غمام
جادوا بممنوع التلاد وجودوا ضربا تخد به الطلا والهام
وتجاورت أسيافهم وجيادهم فالأرض تمطر والسماء تغام
وقال آخر:
قوم شراب سيوفهم ورماحهم في كل معتركٍ دم الأشراف
رجعت إليهم خيلهم بمعاشرٍ كل لكل جسيم أمرٍ كاف
يتجننون إلى لقاء عدوهم كتحنن الألاف للألافً
ويباشرون ظبا السيوف بأنفسٍ أمضى وأقطع من ظبا الأسياف
وقال ابن حيوس:
إن ترد خبر حالهم عن قريبٍ فأتهم يوم نائلٍ أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار ال نقع خضر الأكناف حمر النصال
الصبر والإقدام
قال الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم
تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع
الصابرين". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية
فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا من ذكر الله وإن جلبوا وضجوا فعليكم بالصمت".
ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رب حياةٍ، سببها التعرض للموت، ورب
منية، سببها طلب الحياة.
وقالوا: أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم: الصبر مطية النصر.
وقال آخر: الصبر مطيةٌ لا تكبو، وإن عنف عليه الزمان.
وقال آخر: الصبر شرية، تثمر أرية.

وقيل للمهلب بن أبي صفرة: إنك لتلقي نفسك في المهالك، فقال: إن لم آت الموت مسترسلا، أتاني مستعجلا، إني لست آتي الموت من حبه، وإنما آتيه من بغضه، وتمثل بقول الحصين بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياةً مثل أن أتقدما

وهي قصيدة مشهورة منها:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

نفلق هاماً من كرامٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ولما رأينا الصبر قد حيل دونه وإن كان يوما ذا كواكب مظلما

صبرنا وكان الصبر منا سجيةً بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الأمر الذي كان أحزما

فلست بمبتاع الحياة بسبةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما

وقالت العرب: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة. وكذلك: إن من يقتل مدبرا، أكثر ممن يقتل مقبلا.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: احرص على الموت، توهب لك الحياة .

وقالت الحكماء: استقبال الموت، خير من استدباره.

وقال العلوي:

محرمةٌ أكفال خيلي على القنا ودامية لباتها ونحورها

حرامٌ على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها في الصدور صدورها

وقال أبو تمام:

قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيش من الصبر لا يحصى له عدد

أذا لا رأوا للمناياعارضاً لبسوا من اليقين دروعاً مالها زرد

ناوا عن المصرح الأدنى فليس لهم إلا السيوف على أعدائهم مدد

وما زالت العرب يتمادحون بالموت قعصاً، ويتسابون بالموت على الفراش، ويقولون فيه:

مات فلان حتف أنفه، وأول من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومدح أعرابي قوماً فقال:

يقتحمون الحرب كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب: إن يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه، إنا

والله لا نموت حتفاً ولكن قعصاً بأطراف الرماح، وموتاً تحت ظلال السيوف، وقال
السموءل بن عادياء:
وما مات منا سيد في فراشه ولا طل منا حث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل
وقال أيضا آخر:
وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك أخرى مرةً ما نذوقها
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين، وقد قيل له: أتقائل أهل الشام بالغداة،
وتظهر بالعشي في إزار ورداءٍ؟ فقال: أبالموت تخوفونني؟ فوالله ما أبالي، أسقطت على
الموت، أم سقط الموت علي، وقال لابنه الحسن: لا تدعون أحدا إلى المبارزة، وإن دعيت
إليها فأجب، فإن الداعي باغٍ، وللباغي مصرعً. وقال رضي الله عنه:
"بقية السيف أنمي عددا".
يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيتٍ كثر عددهم ونمى.
وقال ابن عباس رضي الله عنه: عقمت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي
الله عنه، لعهدي به يوم صفين، وعلى رأسه عمامة بيضاء، وهو يقف على شرذمةٍ شرذمة
من الناس، يحضهم على القتال، حتى انتهى إلي، وأنا في كنفٍ من الناس، وفي أغيلمة من بني
عبد المطلب، فقال: يا معشر المسلمين، تجلببوا السكينة، وكملوا اللأمة، وأقلقوا السيوف
في الأغماد، وكافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، فإنكم بعين الله، ومع ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم، عاودوا الكر، واستحيوا من الفر، فإنه عار في الأعقاب، ونار في
الحساب، وطيبوا على الحياة أنفسا، وسيروا إلى الموت سيرا سجحا، ودونكم هذا الرواق
الأعظم، فاصبروا، فإن الشيطان راكب صعدته، قدموا للوثبة رجلا، وأخروا للنكوص
أخرى، فصمداً صمداً، حتى يبلغ الحق أجله، والله معكم، ولن تترككم أعمالكم، ثم
صدر عنا، وهو يقرأ "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مؤمنين".
وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل يوم صفين بهذه الأبيات:
أبت لي شيمتي وأبي بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت لنفسي مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمي بعد عن عرضٍ صحيح
وقال قطري بن الفجاءة أمير الخوارج:
وقولي كلما جشأت لنفسي من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي وداعية لأهل الأرض داعي
وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري:
يا نفس إن لم تقتلي تموتي إن تسلمي اليوم فلا تفوتي
أو تبتلي فطالما عوفيت هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلي فعلهما هديت
وإن توليت فقد شقيت
يريد بقوله:
فإن تفعلي فعلهما هديت
فعل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكانا قتلا في ذلك اليوم
بموته. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يخرج كل يومٍ بصفين حتى يقف بين الصفين
وينشد:
من أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر
فيوم لا يقدر لا أرهبه ثم من المقدور لا ينجو الحذر
ومثله قول جرير من قصيدة أولها:
هاج الفراق لقلبك المهتاج.
منها:
قل للجبان إذا تأخر سرجه ما أنت من شرك المنية ناجي
وقالت امرأة من عبد القيس:
أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ولم يبتغوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ولكن رأوا صبراً على الموت أكرما
وقال حبيب بن أوس الطائي:
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده عليه الحفاظ المر والخلق الوعر
غدا غدوةً والحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردي ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر
وقال:
قومٌ إذا لبسوا الحديد حسبتهم لم يحسبوا أن المنية تخلق
انظر بحيث ترى السيوف لوامعاً أبداً وفوق رءوسهم تتألق
وقال الببغاء:

يسعى إلى الموت والقنا قصدٌ وخيله بالرؤوس تنتعل
كأنه واثق بأن له عمراً مقيما وما له أجل
وقال كعب بن مالك:
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
ومثله لبعض بني قيس بن ثعلبة:
لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارسٌ خالهم إياه يعنونا
إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم حد الظباة وصلناها بأيدينا
ومثله قول الآخر:
إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنقارب
ومثله قول وداك بن ثميل المازني:
مقاديم وصالون في الورع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يماني
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حربٍ أم بأي مكان
وقال أبو تمام في سعة الخطو:
خطوٌ ترى الصارم الهندي منتصرا به من المازن الخطي منتصفا
وقال آخر:
كأن سيوفه صيغت عقودا تجول على الترائب والنحور
وسمر رماحه جعلت هموما فما يخطرن إلا في ضمير
وأجود ما قاله محدثٌ في الصبر قول ابن الرومي:
أرى الصبر محمودا وعنه مذاهبٌ فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب
هناك يحق الصبر والصبر واجبٌ وما كان منه كالضرورة أوجب
فشد امرؤ بالصبر كفاً فإنه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
هو المهرب المنجي لمن أحدقت به مكاره دهر ليس منهن مهرب
لبوس جمال جنةٌ من شماتةٍ شفاء أسى يثني به ويثوب
فيا عجبا للشيء هذي خلاله وتارك ما فيه من الحظ أعجب
وقد يتظنى الناس أن أساهم وصبرهم فيهم طباعٌ مركب
فإنهما ليسا كشيء مصرفٍ يصرفه ذو نكبة حين ينكب
فإن شاء أن يأسي أطاع له الأسى وإن شاء صبرا جاءه الصبر يجلب
وليسا كما ظنوهما بل كلاهما لكل لبيب مستطاعٌ مسبب
يصرفه المختار منا فتارةً يراد فيأتي أو يزاد فيذهب
إذا احتج محتجٌ على النفس لم تكد على قدرٍ يمني لها لتعتب
وساعدها الصبر الجميل فأقبلت إليها له طوعا جنائب تجنب
وإن هو مناها الأباطيل لم تزل تقاتل بالعتب القضاء وتغلب
فيضحي جزوعا إن أصابت مصيبةٌ ويمسي هلوعا إن تعذر مطلب
فلا يعذرن التارك الصبر نفسه بأن قيل: إن الصبر لا يتكسب

وفور العقل
قال الله تعالى: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ" قال
المفسرون: عبر عن العقل بالقلب، لأنه محله وسكنه، وقال تعالى: "وليذكر أولو الألباب"،
وقال تعالى:" وما يذكر إلا أولو الألباب". وقال تعالى: "هل في ذلك قسمٌ لذي حجر".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أول ما خلق الله العقل، قال له:
أقبل، فأقبل، ثم قال له: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ، وبك
أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب".
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام، فمن كن
فيه كمل عقله، ومن لم يكن فيه جزء منها، فلا عقل له". قيل: يا رسول الله، ما أجزاء
العقل؟ قال: "حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله". وعنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما اكتسب رجل مثل فضل عقلٍ يهدي صاحبه إلى هدًى،
ويرده عن ردًى، وما تم إيمان عبدٍ ولا استقام دينه، حتى يكمل عقله".
وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل، قال:
صدقت، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك، فقال كما قلت، ثم قال:
سألت جبريل ما السؤدد؟ فقال: العقل.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، بأي شيء يتفاضل الناس في
الدنيا؟ قال: بالعقل، قلت: وفي الآخرة؟ قال بالعقل، قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم!
فقال: "يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل، فبقدر ما أعطو من
العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون".
وعن سعيد بن المسيب: أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، من أعلم الناس؟ قال: العاقل، قالوا: فمن أعبد
الناس؟ قال: العاقل، قالوا: فمن أفضل الناس؟ قال: العاقل، قالوا: أليس العاقل من طهرت
مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفه، وعظمت منزلته؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

"وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والأخر عند ربك للمتقين".
إن العاقل هو التقى وإن كان
في الدنيا خسيسا دنياً.
وورد في الأثر: "أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياء، فاختار
العقل، فقيل للدين والحياء: ارتفعا، قالا، لا، قال: أفعصيتما أمر ربكما؟ قالا: ما عصينا
أمر ربنا، ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان".
وقال لقمان لابنه: إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة، حسن العقل، لأن العبد إذا
حسن عقله، غطى ذلك عيوبه، وأصلح مساويه، ورضي عنه خالقه، وكفى بالمرء عقلا أن
يسلم الناس من شره.
وقيل: مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام: على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه،
مالكا للسانه، مقبلا على شأنه.
وقال بعض الحكماء: كل شيء يعز إذا قل، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى، ولو بيع،
لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله، وأول شرف العقل أنه لا يشتري بالمال.
قال أبو عطاء السندي:
فإن العقل ليس له إذا ما تذكرت الفضائل من كفاء
وقالوا: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا كان قائدٌ بلا سائق هلكت،
وإن كان سائق بلاً قائد أخذت يمينا وشمالا، فإذا اجتمعا أجابت طوعا أو كرها.
حد العقل وماهيته وما وصف به
وقد اختلف الحكماء، في حد العقل، فقيل: حده الوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا،
وقيل: النظر في العواقب، وقال المتكلمون: هو اسم لعلوم إذا حصلت للإنسان صح
تكليفه. وقيل: العاقل من له رقيب على شهواته، وقيل: هو من عقل نفسه عن المحارم،
وقال عمرو بن العاص: أن يعرف خير الخيرين، وشر الشرين.
قال أبو هلال: ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها،
فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة، فقالوا: أحلم من الأحنف، ومن قيس بن عاصم،
وأجود من حاتم، ومن كعب بن مامة، وأشجع من بسطام، وأبي من سحبان، وأرمي من
ابن تقنٍ، وأعلم من دغفل، ولم يقولوا: أعقل من فلان، فلعلهم لم يستكملوا عقل أحدٍ، على

حسب ما قال الأعرابي، وقد قيل له: حد لا العقل، فقال: كيف أحده ولم أره كاملا في
أحدٍ قط.
وقيل لحكيم: ما جماع العقل؟ فقال: ما رأيته مجتمعا في أحدٍ فأصفه، وما لا يوجد كاملا
فلا حد له.
وقالوا: لكل شيء غاية وحده، والعقل لا غاية له ولا حد، ولكن الناس يتفاوتون فيه
كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب.
واختلفوا في ماهية العقل، كما اختلفوا في حده، فقال بعضهم: هو نور وضعه الله تعالى
طبعا وغريزةً في القلب، كالنور في العين وهو البصر، فالعقل نورٌ في القلب، والبصر نورٌ في
العين، وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويعود، وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور، كذلك يدرك
بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال تعالى: "فإنها لا تعمي
الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور".
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس الأعمى من عمى بصره، ولكن من
عميت بصيرته".
وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عتبة المعروف بالعتبي: العقل عقلان، عقلٌ
تفرد الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا اجتمعا،
قوي كل واحدٍ منهما صاحبه، تقوية النار في الظلمة للبصر.
نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأيت العقل عقلان فمطبوعٌ ومسموع
ولا ينفع مسموعٌ إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

وأكثر الناس على أن العقل في القلب، ودليله قوله عز وجل: "أفلم يسيروا في الأرض فتكون
لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في
الصدور".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "العقل في القلب يفرق به بين الحق
والباطل".
وقال بعضهم: هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه.
وأما ما وصف به فقيل: العقل وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه أرداه، ومن أعطاه

أنجاه.
وقال سعيد بن جبير: لم تر عيناي أجل من فضل عقلٍ يتردى به الرجل إن انكسر جبره،
وإن تصدع أنعشه، وإن ذل أعزه، وإن اعوج أقامه، وإن عثر اقاله، وإن افتقر أغناه، وإن
عرى كساه، وإن غوى أرشده وإن خاف أمنه، وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدقه، وإن
أقام بين أظهر قومٍ اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا: وإن
قبضها قالوا: مقتصدٌ، وإن أشار قالوا: عالم، وإن صام قالوا: مجتهد، وإن أفطر قالوا:
معذور.
قال بعض الشعراء:

يعد رفيع القوم من كان عاقلا وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريب

وقال بعض الحكماء: إذا غلب العقل الهوى، صرف المساويء إلى المحاسن، فجعل البلادة
حلما، والحدة ذكاءً، والمكر فطنةً، والهذر بلاغةً، والعي صمتاً، والعقوبة أدبا، والجبن
حذرا، والإسراف جودا.
وقيل: لو صور العقل، لأضاء معه الليل، ولو صور الجهل، لأظلم معه النهار، قال المتنبي:

لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

وقد ندب إلى صحبة العقلاء:
قال الزهري: إذا أنكرت عقلك، فاقدحه بعاقلٍ. قال ابن زرارة: جالس العقلاء أعداءً#
كانوا أم أصدقاءً، فإن العقل يقع على العقل.
قال بعض الشعراء:

عدوك ذو العقل أبقى عليك وأبقى من الوامق الأحمق

وقال آخر:

لله در العقل من راشدٍ وصاحبٍ في اليسر والعسر
وحاكمٍ يقضي على غائبٍ قضية الشاهد للأمر
وإن شيئاً بعض أحواله أن يفصل الخير من الشر
له قوًى قد خصه ربه بخالص التقديس والطهر

وقال آخر:

إذا لم يكن للمرء عقلٌ فإنه وإن ان ذا قدر على الناس هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله وأفضل عقلٍ عقل من يتبين

وقال آخر:

العقل حلة فجرٍ من تسربلها كانت له نشبا يغني عن النشب
وأفضل العقل ما في الناس كلهم بالعقل ينجو الفتى من حومة العطب

وقال ابن دريد:
وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيءٌ يقاربه
فزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويزري به في الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
وقال آخر:
ما وهب الله لامريء هبةً أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فإن عدما فإن فقد الحياة أنفع به
وقال آخر:
ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ولم أر مثل المال أرفع للنذل
ولم أر من عدمٍ أضر على الفتى إذا عاش بين الناس من عدم العقل
ما قيل في الصدق
قال الله عز وجل مبشرا للصادقين: "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٌ تجري من
تحتا الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحروا الصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر
يهيد إلى الجنة، وإن المرء ليتحرى الصدق، حتى يكتب صديقا".
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال: يا رسول الله، ما عمل أهل الجنة؟ قال: الصدق، إذا صدق العبد بر، وإذا بر
أمن، وإذا أمن دخل الجنة. قال: يا رسول الله ما عمل أهل النار؟ قال: الكذب، إذا كذب
العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار.
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بم يعرف
المؤمن؟ قال: بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه. ومن كلام علي رضي الله عنه: "الإيمان
أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك".
وقال بعض الحكماء: الصدق أزين حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة، وقال
بعضهم: رأيت أرسطاطليس في المنام، فقلت: أي الكلام أحسن؟ فقال: ما صدق قائله،
قلت: ثم ماذا؟ قال: ما استحسنه سامعه، قلت: ثم ماذا؟ قال: كل كلام جاوز هذا فهو
ونهيق الحمار بمنزلة.

وقال الأحنف لابنه: يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يقبل قوله في عدوهن
ومن دناءة الكذب، أن الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه، لكل شيء حليةٌ، وحليةٌ
المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل.
قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته: إني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب
فاصدقوا، من لزم الصدق وعوده لسانه، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه إلا جاء على ظنه.
وقالوا: ما السيف الصارم. في كف الشجاع، بأعز من الصدق.
وقيل: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعجوز تبيع اللبن، فقال لها: يا عجوز، لا تغشي
المسلمين، ولا تشوبي لبنك بالماء، قالت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم مر بها بعد ذل، فقال يا
عجوز، ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنك بالماء؟ فقالت: والله ما فعلت يا أمير المؤمنين،
فتكلمت بنتٌ لها من داخل الخباء، فقالت: يا أماهن أغشا وحنثاً جمعت على نفسك؟
فسمعها عمر فأعجبته، فقال لولده: أيكم يتزوجها؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمةً طيبةً،
فقال ابنه عاصم: أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين، فزوجها منه، فأولدها أم عاصم، تزوجها
عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز.
وروي أن بلالا لم يكذب منذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يحسده، فقال: اليوم أكذبه فسايره،
فقال له: يا بلال ما سن فرسك؟ قال عظم، قال: فما جريه؟ قال:
يحضر ما استطاع، قال: فأين تنزل؟ قال: حيث أضع قدمي، قال: ابن من أنت قال ابن
أبي وأمي، قال: فكم أتي عليك؟ قال: ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعدها، قال: هيهات، أعيت
فيك حيلتي، ما اتعب بعد اليوم أبدا.
الوفاء والمحافظة والأمانة
قال الله عز وجل: "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً". وقال تعالى: "وأوفوا بعهدي
أوفٍ بعهدكم". وقال تعالى: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها". وقال تعالى:
"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون.
وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:
"عليك بصدق الحديث ووفاء العهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء".

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس، ختن رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ابنته زينت، تاجرا تضار به قريشٌ بأموالهم، فخرج إلى الشام سنة الهجرة، فلما
قدم، عرض له المسلمون، وأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به المدينة ليلا، فلما وصلوا
الفجر، قامت زينت على باب المسجد، فقالت: يا رسول الله، قد أجرت أبا العاص وما
معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أجرنا من أجرت ودفع إليه ما أخذوه منه،
وعرض عليه الإسلام، فأبى، وخرج إلى مكة، ودعا قريشا، فأطعمهم، ثم دفع إليهم
أموالهم، ثم قال: هل وفيت؟ قالوا: نعم، قد أديت الأمانة ووفيت، قال: اشهدوا جميعا،
إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وما منعني أن أسلم إلا أن يقولوا: أخذ
أموالنا، ثم هاجر، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح، وتوفي في سنة اثنتي
عشرة.
وقيل لما قوي أمر بني العباس وظهر، قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه: إنا
نجد في الكتب، أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيظهر إليك هؤلاء القوم، يعني ولد
العباس، فصر إليهم، فإني لأرجو أن تتمكن منهم، فتنفعني في مخلفي، وفي كثير من أموري،
فقال: وكيف لي بعلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك، وكلهم يقول: إني غدرت بك، وصرت
إلى عدوك؟ وأنشد:

أسر وفاءً ثم أظهر غدرةً فمن لي بعذرٍ يوسع الناس ظاهره

ثم قال:

ولؤمٌ ظاهرٌ لا شك فيه للائمةٍ وعذري بالمعيب

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد: إن الذي أمرتني به، لأنفع
الأمرين لك، وأقبحهما بي، ولك على الصبر معك، إلى أن يفتح الله عليك، أو أقتل معك.
والعر تضرب المثل في الوفاء بالسموءل بن عادياء الأزدي، وقيل: إنه من ولد الكاهن بن
هارون بن عمران، وكان من خبره، أن امرأ القيس بن حجر، أودعه أدراعا مائة، فأتاه
الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني، ليأخذها منه، فتحصن منه السموءل،

فأخذ ابنا له غلاما وناداه: إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلت ابنك، فأبى أن
يسلمها، فقتل ابنه بالسيف، ففي ذلك يقول:

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما القوم قد غدروا وفيت
وأوصي عاديا يوما بأن لا تهدم يا سموءل ما بنيت

وفيه يقول الأعشى:

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به في جحفلٍ كسواد الليل جرار
الأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصينٌ وجار غير غدار
قد سامه خطتي خسف فقال له قل ما بدا لك إني سامعٌ حار
فقال: ثكل وغدر أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمختار
فحار غير طويل ثم قال له أقتل أسيرك إني مانع جاري

ومن وفاء العرب، ما فعله هانيء بن مسعود الشيباني، حتى جر ذلك يوم ذي قار، وكان
من خبره: أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجأ منه ولا ملجأ، رأى أن
يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هانيء، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هانيء
يطالبه بوديعة النعمان، وقال له: إن النعمان كان عاملي، فابعث إلي بوديعته، وإلا بعثت إليك
بجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية، فبعث إليه هانيء: إن الذي بلغك باطل، وإن يكن الأمر
كما قيل، فأنا أحد رجلين، إما رجل استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه
إياها، ولن يسلم الحر أمانته، أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول
عدو، فبعث كسرى إليه الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه
الكتيبة الشهباء والأساورة، فلما التقوا، قام هانيء بن مسعود، وحرض قومه على القتال،
وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاء الله في وقائع
العرب، فانتصر هانيء وانهزمت الفرس، وكانت وقعة مشهورة، قيل: وكان مرداس في سجن
عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقال له السبحان: أنا أحب أن أوليك حسنة، قال: فإن أذنت
لك في الانصراف إلى دارك أفتدلج علي؟ قال: نعم، فكان يفعل ذلك به، فلما كان ذات يوم،
قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد، فأمر أن يتقل من في السجن من الخوارج، وكان

مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله: اتق الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال: ما
كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السجان، فرجع وقال للسجان: قد
بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه، فقال له
السجان: خذ أي طريق شئت، فانج بنفسك.
خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب إلى بعض جبابين الشام، وإذا بامرأة
جالسة عند قبر تبكي، فجاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من
حسنها: يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت إلى القبر، وقالت:

فإن تسألاني عن هواي فإنه بحوماء هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء، ما حكي عن نائلة بنت القرافصة زوج عثمان بن عفان رضي الله
عنه: أن معاوية خطبها فردته، وقالت: ما يعجب الرجال مني؟ قالوا: ثناياها فكسرت
ثناياها، وبعثت بها إلى معاوية، فكان ذلك مما يرغب قريشا في نكاح نساء كلب. وامرأة
هدية لما قتل زوجها، قطعت أنفها وشفتيها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها.
وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة، فلنذكر بيعة خليفةٍ ويمينٍ، ذكرها بعض أهل الأدب في
تصنيفه، وهي: تبايع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار
واعتقاد وإضمار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من نيتك، وانشراح من
صدرك، وصحة من عزيمتك، طائعا غير مكره، ومنقادا غير مجبر، مقراً بفضلها، مذعنا
بحقها، ومعترفا ببركتها، ومعتدا بحسن عائدتها، وعالما بما فيها، وفي توكيدها من صلاح
الكافة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمن العواقب، وسكون الدهماء، وعز
الأولياء، وقمع الأعداء، على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب
على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقه، والوفاء بعهده، لا تشك فيه، ولا ترتاب به،
ولا تداهن من أمره، ولا تميل، ولكنك ولي أوليائه، وعدو أعدائه، من خاص وعام، وقريب

وبعيد، وحاضر وغائب، متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد، سريرتك مثل
علانيتك، وضميرك فيه وفق ظاهرك، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك
إياه في عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، واستقامة من عزمك، واستمرار
من هواك ورأيك، على أن لا تتأول عليه فيها، ولا تسعى في نقض شيء منها، ولا تعقد عن
نصرة له في الرخاء والشدة، ولا تدع النصح له في كل حالة راهنة وحادثة، حتى تلقى الله
موفيا بها، مؤديا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض: "إنما
يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه" عليك بهذه البيعة التي
طوقتها عنقك، وبسطت لها يديك، وأعطيت ما شرط عليك فيها، من وفاء، ونصح،
وموالاة، ومشايعة، وطاعة، وموافقة، واجتهاد، ومبالغة، عهد الله إن عهده كان مسئولا،
وما أخذ الله على أنبيائه، ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده من وكدات
مواثيقه، ومحكمات عهوده، وعلى أن تتمسك بها، فلا تبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن
نكثت هذه البيعة، وبدلت شرطا من شروطها، أو عفيت رسما من رسومها، أو غيرت
حكما من أحكمها، معلنا أو مسراً، محتالا أو متأولا، أو زغت عن السبيل التي يسلكها
من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حل العقود والعهود فكل ما
تملكه من عين أو ورق، أو آنية أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف
الأملاك المعتقدة، والأموال المدخرة، صدقة على المساكين، يحرم عليك أن ترجع شيئا من
ذلك إلى مالك، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج
من مخارج الإيمان، فكل ما تفيده عمرك من مال يقل خطره أو يجل فتلك سبيله إلى أن
لتوفاك منيتك، أو يأتيك أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه إلى آخر أيامك
أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحنث وما تتروح بعدهن مدة بقائك
طوالق ثلاثا، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعليك المشي إلى بيت الله

الحرام، ثلاثين حجةً حافيا راجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا
عدلا، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك من حوله وقوته، وألجأك إلى حولك وقوتك والله عز
وجل بذلك شهيد "وكفى بالله شهيداً" والله على ما تقول وكيل.

ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى: "أذلةً على المؤمنين". وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:
"واختفض جناحك للمؤمنين". وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: "وبشر المخبتين" قال: هم
المتواضعون. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعا.

وقال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز
ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حنين على حمار، خطامه ليف. وقال
صلى الله عليه وسلم: "إن العفو لا يزيد البعد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا
يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم
الله". وقال عروة ابن الزبير: التواضع أحد مصايد الشرف، وفي لفظٍ "سلم الشرف". وقال
جعفر بن محمد: رأس الخير التواضع، فقيل له: وما التواضع؟ فقال: أن ترضى من المجلس
بدون شرفك وأن تسلم على من لقيت، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً.

وعن علي رضي الله عنه ولم يذكر المراء فيه وزاد فيه: وتكره الرياء والسمعة. وقيل: ثمرة
القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة، وقيل: التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد، وقيل:
التواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها.

وقال عبد الله بن المعتز: متواضع العلماء أكثرهم علما، كما أن المكان المنخفض أكثر
الأماكن ماءً.

وكان يحيى بن خالد يقول: لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال
من سلطانه.

ومن التواضع المأثور ما روي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر ويده على المعلى بن
الجارود فلقيته امرأة من قريش، فقالت له: يا عمر، فوقف لها، فقالت له: كنا نعرفك مرة

عميرا ثم صرت بعد عميرٍ عمر ثم صرت بعد عمر أمير المؤمنين فاتق الله يا بن الخطاب،
فانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت، خشي
الفوت، فقال لها المعلى، إيهاً، إليك يا أمة الله لقد أبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر أتدري
من هذه؟ ويحك! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر أحرى أن
يسمع قولها ويقتدي به. وقال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية: إنك لسريع المشية، قال:
ذلك أبعد من الكبر وأسرع من الحاجة. وقال عمر رضي الله عنه وقد قيل له مثل هذا:
أنجح للحاجة وأبعد من الكبر. أما سمعت قوله عز وجل؟ واقصد في مشيك واغضض
من صوتك.
وقد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب:

متبذلٌ في القوم وهو مبجلٌ متواضع في الحي وهو معظم

وقال آخر:

متواضع والنبل يحرس قدره وأخو النباهة بالنباهة ينبل

وقال البحتري:

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأناك انحدارٌ وارتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامي ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال أبو محمد التيمي:

تواضع لما زاده الله رفعةً وكل رفيع قدره متواضع

وقال آخر:

دنوت تواضعا وعلوت قدرا ففيك تواضعٌ وعلو شان

القناعة والنزاهة
جاء في تفسير قوله تعالى: "من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياةً
طيبةً" أن المراد بالحياة الطيبة: القناعة.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "القناعة مال لا ينفد".
وقال عليه السلام: "ما عال من افتصد". ومن كلام على رضي الله عنه: كفى بالقناعة ملكا، وبحسن الخلق نعيما.
وقال جعفر بن محمد: ثمرة القناعة الراحة.
وقال علي بن موسى: القناعة تجمع إلى صيانة النفس، وعز القدرة طرح مؤونة الاستكثار
والتعبد لأهل الدنيا، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان، إما متقللٌ يريد أجر الآخرة، أو كريمٌ
يتنزه عن آثام الدنيا.
وقال الراضي: القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا، والشره لا يعيش إلا تعباً نصباً في

خوف وأذًى.